مجلة اللغة العربية والعلوم الإسلامية المجلد (٤) العدد(١٥)– سبتمبر ٢٠٢٥م
الترقيم الدولي للنسخة المطبوعة: ٢٨١٢-١٤٥ x الترقيم الدولي للنسخة الإلكترونية: ٢٨١٢– ٥٤٢٨
الموقع الإلكتروني: https://jlais.journals.ekb.eng

الحجاج اللغوي
في تكذيب القرآن الكريم لقصة الغرانيق

د/ محمد أحمد محمد أبوبكر
مدرس النحو والصرف بكلية التربية
جامعة مطروح
mohamedabobakry@gmail.com

Journal of Arabic Language and Islamic Science Vol (٤) Issue (١٥)- Sept2025
Printed ISSN:2812-541x On Line ISSN:2812-5428
Website: https://jlais.journals.ekb.eg/

الحجاج اللغوي في تكذيب القرآن الكريم لقصة الغرانيق

د/ محمد أحمد محمد أبوبكر

مدرس النحو والصرف بكلية التربية

جامعة مطروح

الملخص:

هذه دراسة بعنوان (الحجاج اللغوي في تكذيب القرآن الكريم لقصة الغرانيق)، وتهدف إلى الكشف عن مؤشرات الحجاج اللغوي ومظاهره، التي اعتمدها النص القرآني في تكذيب هذه القصة، وشكلت نسيجاً حجاجياً متماسكاً يقطع ببطلان القصة.

وتوصلت الدراسة إلى بعض النتائج أهمها ما يأتي:

١ – الخطاب القرآني في تكذيبه لقصة الغرانيق، انبنى على نسق حجاجي لغوي متكامل، استطاع أن يفند قصة الغرانيق، بحجج قوية وبأسلوب مقنع.

٢ – القرآن الكريم لم يكتفِ بنفي تطرُّق الباطل إلى القرآن الكريم، بل قدّم خطابًا لغويًا حجاجيًا متماسكًا يجمع بين قوة الحجة، وثراء التعبير.

٣ – كل مؤشر حجاجي، أو آلية إقناعية، أو مظهر من المظاهر الأخرى، يعد حجة فرعية، تتضافر مع الحجج الأخرى؛ من أجل الوصول إلى النتيجة النهائية وهي (تكذيب قصة الغرانيق).

٤ – تؤكد الدراسة على نجاعة الحجاج اللغوي في تفنيد الإشاعات.

٥ – أكدت الدراسة على انسجام النص القرآني في دحض قصة الغرانيق.

٦ – يستخدم القرآن الكريم أكثر من مؤشر حجاجي في الموضع الواحد؛ وهذا يكثف الحجة ويقويها، ويجعلها أكثر إقناعا.

٧ – أكدت الدراسة على أهمية مبدأ التناص في تفنيد قصة الغرانيق.

الكلمات الافتتاحية:

الحجاج – الغرانيق – الخطاب – الإقناع – تكذيب – العوامل الحجاجية

Abstract:

This study, entitled *"Linguistic Argumentation in the Qur'anic Refutation of the Story of the Gharānīq"*, aims to uncover the indicators and manifestations of linguistic argumentation employed by the Qur'anic text in denying this story, thereby forming a coherent argumentative structure that decisively establishes its falsity.

The study reached several key findings, the most important of which are:

1. The Qur'anic discourse in its refutation of the story of the Gharānīq is built upon a comprehensive linguistic argumentative framework, through which the story is dismantled with strong reasoning and persuasive style.
2. The Qur'an not only negates any intrusion of falsehood into its text, but also presents a cohesive argumentative discourse that combines the strength of reasoning with richness of expression.
3. Every argumentative indicator, persuasive mechanism, or other rhetorical manifestation serves as a subsidiary proof that integrates with other proofs to reach the ultimate conclusion: the rejection of the Gharānīq story.
4. The study highlights the effectiveness of linguistic argumentation in refuting rumors.
5. It confirms the coherence of the Qur'anic text in rejecting the Gharānīq story.
6. The Qur'an employs multiple argumentative indicators within a single context; this multiplies and strengthens the proof, rendering it more convincing.
7. The study emphasizes the significance of the principle of *intertextuality* in refuting the Gharānīq story.

Keywords: Argumentation – Gharānīq – Discourse – Persuasion – Refutation – Argumentative Factors

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد،،

فالقرآن الكريم خطاب إلهي جاء بلغة طبيعية، وهي اللغة العربية، وهو موجه إلى كافة البشر، فهو خطاب –مع إعجازه– يحكمه المنطق الذي يحكم اللغة الطبيعية، وكونه خطابَ إصلاح وتغيير يقتضي أنه إقناع وتأثير، وهي غاية الخطاب الحجاجي.

والخطاب الحجاجي يتأسس على الصراع والخلاف حول قضية ما، والهدف منه إزالة شك المرسَل إليه، في وجهة النظر محل الخلاف.

ومن المعلوم أن أعداء الإسلام قد أشاعوا كثيرا من الإشاعات، منذ فجر الإسلام؛ لزعزعة قلوب الناس من القرآن الكريم، ومن الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن ثوابت العقيدة الإسلامية، وكان مما أشاعوا قصة الغرانيق ليطعنوا في صحة القرآن الكريم، زاعمين أن النبي صلى الله عليه وسلم مدح آلهتهم (اللات والعزى) في سورة النجم.

وقد تصدى القرآن لهذه الإشاعة، ولكن بطريقة غير مباشرة، أي أنه لم يصرح بقصة الغرانيق وتفنيدها، ولكنه فندها بتضافر آيات متفرقة في القرآن الكريم، فمن خلال النظر إلى هذه الآيات مجتمعة متكاملة متضافرة، فُنِّدت هذه الإشاعة، **وقد جمعت هذه الآيات فكانت نطاق التطبيق في هذه الدراسة، وذكرتها في التمهيد تحت عنوان (التناص).**

وأتت هذه الدراسة بعنوان (الحجاج اللغوي في تكذيب القرآن الكريم لقصة الغرانيق)؛ للكشف عن الأبعاد الحجاجية في الخطاب القرآني، وهو يتصدى لقصة الغرانيق التي وردت في بعض كتب التفسير.

وتنطلق الدراسة من أن أي وسيلة لغوية، سواء أكانت معجمية، أم صرفية،

أم تركيبية، تُوظَف لإقناع المخاطَب وتوجيه الخطاب، فهي تندرج ضمن نظرية الحجاج اللغوي، طالما تؤدي وظيفة حجاجية، تخدم عملية الإقناع.

أي أنها تتناول المؤشرات الحجاجية (الروابط والعوامل الحجاجية)، وبعض المظاهر الأخرى، كدلالة الصيغ الصرفية والتوكيد والاستعارة والمعجم وغيرها، مما له دور في الوصول إلى النتيجة النهائية وهي (تفنيد قصة الغرانيق)، ودحض دعواهم بآليات لغوية.

ومن ثم فإن هذه الدراسة لا تقتصر على تكذيب الرواية، بل تسعى إلى إظهار كيفية اشتغال اللغة القرآنية في أبعادها المعجمية والصرفية والتركيبية، باعتبارها نسقًا حجاجيًا متماسكًا، يثبت بطلان الدعوى، ويؤكد عظمة الخطاب القرآني في الإقناع والدحض معًا.

خطة الدراسة:

وتكونت الدراسة من: ملخص باللغتين العربية والإنجليزية، ومقدمة، وتمهيد، وأربعة مباحث، تقفوها خاتمة، ثم قائمة بالمصادر والمراجع.

تناولت في المقدمة التعريف بموضوع الدراسة، وخطة الدراسة، وفرضيتها، وأهميتها، وأهدافها، وأسئلتها، ومنهجها، والدراسات السابقة.

وأما التمهيد فتناولت فيه ثلاثة موضوعات: تعريف موجز بالحجاج وغايته، وعرض موجز لقصة الغرانيق، ومبدأ التناص في تفنيد أكذوبة الغرانيق.

وأما مباحث الدراسة فعلى النحو التالي:

المبحث الأول: الروابط الحجاجية، واشتمل على الروابط الآتية: إذن، أو، ثم، حتى، الفاء، لكن، لام التعليل، لو، لولا، الواو.

المبحث الثاني: العوامل الحجاجية، وتناولت فيه العوامل الآتية: النفي، القصر، الشرط وجوابه، كاد.

المبحث الثالث: بعض المؤشرات الحجاجية الأخرى، وتناولت فيه ما يأتي: المعجم، دلالة بعض الصيغ الصرفية، التوكيد.

المبحث الرابع: بعض الآليات الإقناعية، وتناولت فيه: الاستعارة، وضع المضمر موضع المظهر، الأفعال الكلامية، السلم الحجاجي.

أما الخاتمة فأشرت فيها إلى أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

فرضية الدراسة:

انطلقت الدراسة من فرضية مفادها: أن القرآن الكريم يمارس حجاجًا لغويًا متكاملًا، تتضافر فيه المؤشرات الحجاجية (الروابط والعوامل) التي تشد البنية النصية وتوجهها نحو إبطال الدعوى، مع المظاهر الحجاجية الأخرى.

أهداف الدراسة:

تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق جملة من الأهداف، من أبرزها:

١ – إبراز مظاهر الحجاج اللغوي في الخطاب القرآني، المتعلق بقصة الغرانيق، وتوضيح آليات الإقناع والدحض.

٢ – إظهار القيمة الحجاجية للمؤشرات اللغوية، وبيان دورها في تكثيف الدلالة وتقوية الحجة.

٣ – الإسهام في إثراء الدراسات الحجاجية القرآنية، وربط التحليل الحجاجي بجهود المفسرين في كشف بطلان الروايات المفتراة.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في أن قصة الغرانيق، من القصص التي أُثير حولها جدل واسع في التراث، ولدى بعض المحدثين، ومن ثمّ يكتسب تكذيبها بالتحليل الحجاجي اللغوي أهمية كبيرة.

وتكمن أيضا في (جدّة المقاربة) فلم أقف على دراسة تناولت هذه القصة من زاوية الحجاج اللغوي، إذ غالبًا ما يتم تناولها عقائديا.

وكذلك تكمن في محاولة إبراز قدرة الخطاب القرآني على بناء نسق حجاجي متماسك، يثبت بطلان الأكاذيب، ويؤكد انسجام النص داخليًا.

أسئلة الدراسة:

١ – كيف يظهر الحجاج اللغوي في الخطاب القرآني المتعلق بقصة الغرانيق؟

٢ – ما طبيعة الآليات اللغوية التي اعتمدها القرآن الكريم في بناء خطابه الحجاجي، وفي دحض هذه القصة؟

٣ – كيف يكشف التحليل الحجاجي عن عدم انسجام قصة الغرانيق مع منطق النص القرآني؟

منهج الدراسة:

اقتضت طبيعة الدراسة أن تتبع المنهج الوصفي التحليلي.

الدراسات السابقة،

لم أقف على أي دراسة تناولت تفنيد القرآن لقصة الغرانيق حجاجيا، والذي وقفت عليه في شأن هذه القصة، هو تفنيد تمام حسان لها اعتمادا على مبدأ التناص، الذي أشرت إليه في التمهيد، وقد استفدت منها في حصر الآيات المتعلقة بالموضوع(١).

وهناك دراسات تناولت قصة الغرانيق عقائديا ورواية، ولا علاقة لها بالحجاج اللغوي، ومنها:

١ – دلائل التحقيق لإبطال قصة الغرانيق رواية ودراية، على بن حسن بن علي بن عبد الحميد، مكتبة التابعين، القاهرة، ١٩٩٢م.

٢ – نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٩٩٦م.

٣ – قصة الغرانيق: دراسة قرآنية تفسيرية، أحمد إسماعيل نوفل، مجلة المنارة

---

(١) اعتمد تمام حسان على مبدأ التناص في هذه القصة وأشار إلى أن تناول هذه الآيات مجتمعة وفي سياقها كفيل على تكذيب قصة الغرانيق، وتناولها تحت عنوان (القرآن الكريم يفند أكذوبة الغرانيق) حيث أشار تحت هذا العنوان إلى مبدأ التناص في فهم القرآن عامة ثم طبقه على هذه القصة. (ينظر، حسان، تمام، البيان في روائع القرآن، مطبوعات مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٣، ج ٢، ص ٣٢٣ – ٣٣٨).

للعلوم والدراسات، المجلد ٧، العدد ٢، جامعة آل البيت، الأردن، ٢٠٠١م.

التمهيد:

أولا: تعريف الحجاج وغايته

تنطلق نظرية الحجاج اللغوي التي وضع أسسها ديكرو من الفكرة الشائعة التي مؤداها: "إننا نتكلم عامة بقصد التأثير"، ... وهي تحاول أن تبين أن اللغة تحمل بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة حجاجية، أي أن هذه الوظيفة مؤشر لها في بنية الأقوال نفسها، وفي المعنى، وكل الظواهر الصوتية والصرفية والمعجمية والتركيبية والدلالية(١).

ولذلك يشير ديكرو إلى "أن القيمة الحجاجية لقول ما ليست نتيجة لما يحمله من معلومات فحسب، ولكن الجملة يمكن أن تتضمن عدة أدوات وعبارات وصيغ تركيبية، تهدف بالإضافة إلى محتواها الإخباري إلى إعطاء توجيه حجاجي للقول، وتوجيه المتلقي نحو هذه الوجهة أو تلك"(٢).

ويرى بعض الباحثين أن الوظيفة الحجاجية للغة أولى وأهم من الوظيفة التواصلية الإخبارية(٣)، لأن الحجاج هو الأصل في الخطاب، فلا خطاب بغير حجاج(٤).

---

(١) ينظر العزاوي، أبو بكر، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، المغرب، ط ١، ٢٠٠٦م، ص ٨.

(٢) ديكرو، أزفالد، السلميات الحجاجية، ترجمة: أبوبكر العزاوي، مطبعة وراقة بلاس، فاس، المغرب، ط ١، ٢٠٢٠م، ص ٥٥، ٥٦.

(٣) ينظر: العزاوي، أبوبكر، اللغة والحجاج، ص ١٦، ٢٦- الحباشة، صابر، التداولية والحجاج مدخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، ط ١، ٢٠٠٨م، ص ٢٢، ٢٣ – حمداوي، جميل، نظريات الحجاج، إهداء من شبكة الألوكة، ص ٣٣ .

(٤) ينظر عبد الرحمن، طه، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط ١، ١٩٩٨م، ص٢٢٦.

وعُرِّف الحجاج تعريفات كثيرة[١]، وخلاصتها "أن الحجاج جنس خاص من الخطاب، يبنى على قضية أو فرضية خلافية، يعرض فيه المتكلم دعواه مدعومة بالتبريرات، عبر سلسلة من الأقوال المترابطة ترابطا منطقيا، قاصدا إلى إقناع الآخر بصدق دعواه، والتأثير في موقفه أو سلوكه تجاه تلك القضية"[٢].

فالخطاب الحجاجي يتأسس على الصراع والخلاف حول قضية ما[٣]، والهدف منه "إزالة شك المرسل إليه في وجهة النظر محل الخلاف"[٤].

ويشير صاحبا المصنف في الحجاج إلى أن "غاية أي حجاج هو بعث أو تقوية استمالة الأذهان نحو الدعاوى المقدمة"[٥].

فالحجاج وسيلته اللغة، وغايته الإقناع، وتكمن أهميته فيما يولده من اقتناع لدى المرسل إليه، الذي لا يتأتى له إلا باستعمال اللغة[٦]، مما يؤكد أن نظرية الحجاج في اللغة، تنطلق من فكرة مفادها أننا نتكلم بقصد التأثير، وأن الوظيفة

---

(١) ينظر: السابق، ص٢٢٦ – صولة، عبد الله، الحجاج في القرآن الكريم، دار الفارابي، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٧م، ص ٢٢ – ٣٩ – العبد، محمد، النص الحجاجي العربي، دراسة في وسائل الإقناع، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، العدد ٦٠، صيف – خريف ٢٠٠٢م، ص ٤٢، ٤٤– بلانتان، كريستيان، الحجاج، ترجمة: عبد القادر المهيري، دار سيناترا، تونس، ٢٠١٠م، ص ٤٣، ٤٤.

(٢) العبد، محمد، النص الحجاجي العربي، دراسة في وسائل الإقناع، مجلة فصول ، العدد ٦٠، ص ٤٤.

(٣) ينظر: بلانتان، كريستيان، الحجاج، ص ٣٩ – الدردير، سامية، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط ٢، ٢٠١١م، ص ٢٩.

(٤) الشهري، عبد الهادي بن ظافر، إستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط ١، ٢٠٠٤م، ص ٤٨٢.

(٥) بيرلمان، شاييم، وتيتكا، لوسي أولبرخت، المصنف في الحجاج (الخطابة الجديدة)، ترجمة: محمد الولي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط ١، ٢٠٢٣م، ص ١٣٦.

(٦) الشهري، عبد الهادي، إستراتيجيات الخطاب، ص ٤٨٢.

الأساسية للغة هي الحجاج.

فأي وسيلة لغوية، سواء أكانت معجمية، أم صرفية، أم تركيبية، يوظفها المتكلم؛ لإقناع المخاطَب، فهي تندرج ضمن هذه النظرية، طالما تؤدي وظيفة حجاجية، تخدم عملية الإقناع.

ثانيا: قصة الغرانيق

الإشاعات الكاذبة موجودة منذ وجود الإنسانية، ينشرها الأعداء ضد من يعادونهم؛ لإضعافهم، أو لإنزال الهزيمة بهم، أو لإزالة نعمة منحها الله تعالى لهم، أو لغير ذلك من الأسباب التي يراها كل خصم أنها تساعده على الانتصار على خصمه.

والمقصود بالإشاعات في الأعم الأغلب التأثير السلبي في النفوس، والعمل على نشر الاضطراب، وعدم الثقة في قلوب الأفراد والجماعات(١).

ولقد أشاع أعداء الحق أكاذيب عن الأنبياء عليهم السلام، وعن الأخيار الأطهار من الناس، وعن القرآن الكريم، وعن اليوم الآخر إلخ.

وقد حارب الإسلام الإشاعات، وأمر بالتثبت والتبين من صحة ما يقال وما يسمع، وقد أشار القرآن إلى كثير من الإشاعات التي أشاعها أعداء الإسلام، ورد عليها بما يزهقها، وبما يزيد المؤمنين إيمانا على إيمانهم(٢).

---

(١) ينظر الطنطاوي، محمد، الإشاعات الكاذبة وكيف حاربها الإسلام، هدية مجلة الأزهر، مجمع البحوث الإسلامية، فبراير، ٢٠٢٤م، شعبان، ١٤٤٥هـ، الجزء ٨، السنة ٩٧، ص ١٣.

(٢) تجدر الإشارة في هذا السياق إلى أن شريعة الإسلام لم تبح لأتباعها أن يحاربوا أعداءهم بالإشاعات الكاذبة؛ لأن الكذب لا يليق بالمسلمين، وإنما أباحت لهم أن يحاربوا أعداءهم بالأساليب الشريفة التي تزلزل أقدامهم، وتفرق جمعهم، وتلقي الرعب والفزع في قلوبهم، وتردهم على أعقابهم خاسرين. (ينظر الطنطاوي، محمد، الإشاعات الكاذبة وكيف حاربها الإسلام، ص ٣٥٤، ٣٥٥).

ورَدُّ القرآنِ على الإشاعات قد يكون بشكل مباشر: أي يذكر الإشاعة ثم يرد عليها ويفندها، وقد تنتشر الإشاعة ولا يرد عليها القرآن عليها بشكل مباشر، وإنما يكون الرد عليها من خلال تضافر آيات متفرقة في القرآن الكريم، دون أن يصرح بالإشاعة، كما حدث في قصة الغرانيق.

تتلخص قصة الغرانيق فيما ذكره كثير من المفسرين في أسباب نزول قوله تعالى:[1] ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾ (الحج: ٥٢).

قالوا: لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم تولِّي قومه عنه، وشقَّ عليه ما رأى من مباعدتهم عما جاءهم به من الله، تمنى في نفسه أن يأتيه من الله ما يقارب بينه وبين قومه؛ لحرصه على إيمانهم، فكان يوما في مجلس قريش، فأنزل الله تعالى سورة "النجم"، فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى بلغ قوله: ﴿ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ٢٠ ﴾ (النجم: ١٩، ٢٠) ألقى الشيطان على لسانه بما كان يحدِّث به نفسه ويتمناه: "تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهم لترتجى"، فلما سمعت قريش ذلك فرحوا به، ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في قراءته، فقرأ السورة كلها وسجد في آخر السورة فسجد المسلمون بسجوده، وسجد جميع من في المسجد من المشركين، فلم يبق في المسجد مؤمن

---

(١) انظر: الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد (٤٦٨هـ)، أسباب النزول، ت. السيد الجميلي، دار الريان للتراث، بدون تاريخ، ص ٢٥٦ – البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود (٥١٦هـ)، تفسير البغوي (معالم التنزيل)، ت: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة، سلمان مسلم الحرش، دار طيبة، الرياض، ١٤٠٩هـ، ج٥، ص ٣٩٣ – الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر (٥٣٨هـ)، الكشاف، ت: يوسف الحمادي، مكتبة مصر، القاهرة، بدون تاريخ، ج ٣، ص ٢٣١، ٢٣٢ – ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب (٥٤٦هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ت: عبد السلام عبد الشافي، ط ١، ٢٠٠١م، ج ٤، ص ١٢٨.

ولا كافر إلا سجد إلا الوليد بن المغيرة وأبو أحيحة سعيد بن العاص، فإنهما أخذا حفنة من البطحاء ورفعاهما إلى جبهتيهما وسجدا عليها؛ لأنهما كانا شيخين كبيرين فلم يستطيعا السجود، وتفرقت قريش وقد سرهم ما سمعوا من ذكر آلهتهم ويقولون: قد ذكر محمد آلهتنا بأحسن الذكر، وقالوا: قد عرفنا أن الله يحيي ويميت ويخلق ويرزق، ولكن آلهتنا هذه تشفع لنا عنده، فإذا جعل لها نصيبا فنحن معه، فلما أمسى رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل فقال: يا محمد ماذا صنعت؟ لقد تلوت على الناس ما لم آتك به عن الله عز وجل! فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم حزنا شديدا وخاف من الله خوفا كثيرا فأنزل الله هذه الآية يعزيه، وكان به رحيما.

وإذا نظرنا إلى موقف المفسرين السابقين في هذه القصة، نجد الآتي[١]:

١ – منهم من رواها ولم يعقب على مضمونها، فكأنه يسلم بوقوعها، كما رواها.

٢ – ومنهم من يطعن في القصة من حيث الوجه الذي رويت به.

٣ – ومنهم من رفض الأخبار المروية في هذا الصدد.

٤ – ومنهم من رفض القصة كلها مستعينا بالآية التي ذُكِرت هذه القصة في سبب نزولها، ويمثل هذا الرأي أبو حيان الأندلسي، يقول: "وهذه الآية ليس فيها إسناد شيء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، إنما تضمنت حالة من كان قبله من الرسل إذا تمنوا"[٢].

٥ – ومنهم من أشار إليه وفندها بالقرآن الكريم، والسنة النبوية، وبالمعقول[٣].

---

(١) ينظر حسان، تمام، البيان في روائع القرآن، ج ٢، ص ٣٣٠.

(٢) أبو حيان ، محمد بن يوسف (٧٤٥هـ)، تفسير البحر المحيط، ت: عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٣م، ج ٦، ص ٣٥٢.

(٣) سنعود إلى هذا الاتجاه عند تناول السلم الحجاجي في تفنيد هذه القصة.

أما المفسرون المحدثون فكثير منهم فند قصة الغرانيق، فالإمام محمد عبده كتب مقالا في هذه الآية فند فيه قصة الغرانيق[١]، وكذلك القاسمي في تفسيره (محاسن التأويل)[٢]، والطاهر ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير[٣]، وكذلك تمام حسان في كتابه البيان في روائع القرآن فندها بمبدأ التناص في فهم آيات القرآن الكريم[٤].

ثالثا: التناص[٥]

اعتمد كثير من المفسرين على مبدأ معتبر في الدراسات النصية الحديثة وهو "التناص"، وعبروا عنه بقولهم: "القرآن يفسر بعضه بعضا"[٦]، حيث إنهم

---

(١) اقتبس القاسمي بعض الشذرات من رسالة محمد عبده. (ينظر القاسمي، محمد جمال الدين (١٩١٤م)، تفسير القاسمي (محاسن التأويل)، طبع برعاية محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط ١، ١٩٥٧م، ج ١٢، ص ٤٣٦٢ – ٤٣٦٤. ونقل محيي الدين الدرويش عند إعرابه الآية (٥٢) من سورة الحج تفنيد محمد عبده لقصة الغرانيق بالتفصيل. (الدرويش، محيي الدين، إعراب القرآن الكريم وبيانه، دار الإرشاد للشئون الجامعية، حمص، سورية، ١٩٨٠م، ج ٦، ص ٤٥٠ – ٤٦٦).

(٢) ينظر القاسمي، تفسير القاسمي، ج ١٢، ص ٤٣٥٣– ٤٣٦٢.

(٣) ينظر ابن عاشور، محمد الطاهر (١٩٧٣م)، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، ١٩٨٤م، ج ١٧، ص ٣٠٣ – ٣٠٦. يقول ابن عاشور: "فالوجه: أن هذه الشائعة التي أشيعت بين المشركين في أول الإسلام إنما هي من اختلاقات المستهزئين من سفهاء الأحلام بمكة ... لإلقاء الفتنة في الناس..." (ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير،ج ١٧، ص٣٠٦).

(٤) ينظر حسان، تمام، البيان في روائع القرآن، ج ٢، ص ٣٣١.

(٥) **الآيات التي ذكرت في مبدأ التناص، هي نطاق الدراسة وعليها تبنى. وقد جمعتها من كلام المفسرين في سياق ردهم على قصة الغرانيق، ومما أورده تمام حسان عند تناوله لمبدأ التناص في تفنيد قصة الغرانيق.**

(٦) ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج ٢، ص ٤٣٢ – (أبو حيان)، تفسير البحر المحيط، ج ٥، ص ٢٦٥ – القاسمي، تفسير القاسمي، ج ٩، ص ٣٦٤٧، ج ١٠، ص ٣٩٥٣.

يعتمدون في تفسير آية على آية أخرى في موضع آخر.

ومبدأ التناص يعتبر من دعامات الحجاج القوية، وتناوله الشهري تحت "حجة الدليل"، وأطلق عليه الحجج الجاهزة أو الشواهد؛ حيث يضعها المخاطِب في الموضع المناسب، وتتبدى أهليته وبراعته في توظيفها بحسب ما يتطلبه السياق، وتوظيف الحجج الجاهزة التوظيف المناسب يدل على كفاءة المخاطِب التداولية؛ وبهذا فهي تعلو الكلام العادي درجة، مما يجعلها ترقى في السلم الحجاجي إلى ما هو أرفع(١).

وكذلك نجد طه عبد الرحمن يصنف الحجج الجاهزة على أنها "محاورة بعيدة" أو "تناص"، ويقصد به "تعالق النصوص بعضها ببعض"(٢).

ولقد فطن بعض المفسرين لهذا المبدأ في تفنيد قصة الغرانيق، ولم يكتفوا بتكذيب الروايات، وأشاروا إلى أن أهل التحقيق من المفسرين احتجوا بالقرآن في تكذيب هذه القصة، يقول الفخر الرازي: "أما أهل التحقيق فقد قالوا: هذه الرواية باطلة موضوعة، واحتجوا عليه بالقرآن والسنة والمعقول"(٣)، ويقول الشوكاني: "ولم يصح شيء من هذه الرواية ولا ثبت بوجه من الوجوه، ومع عدم صحته بل بطلانه، فقد دفعه المحققون بكتاب الله سبحانه"(٤)، ومن الآيات التي ذكروها في

---

(١) ينظر الشهري، عبد الهادي بن ظافر، آليات الحجاج وأدواته، ضمن الكتاب المجمع: الحجاج مفهومه ومجالاته، إعداد وتصدير حافظ إسماعيل علوي، الجزء الأول، الحجاج حدود وتعريفات، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط ١، ٢٠١٠م، ص ١٢٨.

(٢) ينظر عبد الرحمن، طه، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط ٢، ٢٠٠٠م، ص ٤٧.

(٣) الرازي، فخر الدين محمد بن عمر (٦٠٤هـ)، تفسير الفخر الرازي (مفاتيح الغيب)، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٨١م، ج ٢٣، ص ٥١.

(٤) الشوكاني، محمد بن علي بن محمد (١٢٥٠هـ)، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، ت: يوسف الغوش، دار المعرفة، بيروت، ط ٤، ٢٠٠٧م، ص ٩٦٩.

هذا السياق ما يأتي[1]:

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ ﴾ (يونس: ١٥)، وقوله: ﴿ وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ ﴾ (الإسراء: ٧٣، ٧٤)، وقوله: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ (الفرقان: ٣٢)، وقوله: ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ (النجم: ١ – ٤)، وقوله: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ (الحاقة: ٤٤– ٤٦)، وقوله: ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾ ﴾ (الأعلى: ٦).

ويضاف إلى هذه الآيات السياق الذي وردت فيه الآية (٥٢) من سورة الحج، يقول تمام حسان: "وفي نص آية الحج ما يقوي مبدأ التناص بينها وبين ما يسبقها وما يتبعها من الآيات، فالآيات تتضافر جميعا؛ لتكشف عن المعنى المقصود"[2].

قوله تعالى: ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ

---

(١) ينظر: الرازي، تفسير الفخر الرازي، ج ٢٣، ص ٥١ – القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد (٦٧١هـ)، تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، ت:عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ٢٠٠٦م، ج ١٤، ص ٤٣٠ – (أبو حيان)، تفسير البحر المحيط، ج ٦، ص ٣٥٢ – الشوكاني، فتح القدير، ص ٩٦٩، ٩٧٠ – ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج ١٧، ص ٣٠٤.

(٢) حسان، تمام، البيان في روائع القرآن، ج ٢، ص ٣٣٥.

مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥١﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾ ﴾ (الحج: ٤٢ – ٥٥).

وهناك بعض الآيات أيضا تتكامل مع الآيات السابقة في تمام فكرة التناص في تكذيب قصة الغرانيق، ومنها:

قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ ﴾ (النساء: ١٣)، وقوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ (الأنعام: ١١٢)، وقوله: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾ (الأنعام: ١٢١)، وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ (فصبت: ٤١، ٤٢).

فانطلاقا من مبدأ "القرآن يفسر بعضه بعضا" ينبغي أن تفهم الآيات في محيطها، وبيئتها بشكل متكامل موجهة نحو وجهة واحدة وهي (تفنيد قصة الغرانيق).

فالنظر في بيئة آيات سورة الحج، مع ما تضافر معها من آيات، كفيل على تفنيد ودحض قصة الغرانيق.

المبحث الأول: الروابط الحجاجية

ميز كثير من الباحثين بين نوعين من المؤشرات أو المكونات اللغوية التي تحقق الوظيفة الحجاجية، وهما: الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية[١].

تعريف الروابط االحجاجية:

هي التي تربط بين قولين، أو بين حجتين (أو أكثر)، وتسند لكل قول دورا محددا داخل الإستراتيجية الحجاجية العامة[٢]، أو هي "ما يربط بين الأقوال من عناصر نحوية، مثل أدوات الاستئناف (الواو، الفاء، لكن، إذن..."[٣]، ومنها أيضا: لا سيما، حتى، لأن، بما أن، إذ، اللام، كي، فالروابط الحجاجية هي التي تتحكم في اتساق النص وانسجامه[٤].

---

(١) ينظر: العزاوي، أبوبكر، اللغة والحجاج، ص ٢٧- صلاح الدين، إسلام، الخطاب الحجاجي: آلياته وظائفه في مقالات نبيل عبد الفتاح، سلسلة كتابات نقدية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، العدد: ٢٩١، ٢٠٢٢م، القاهرة، ص ٤٧.

(٢) ينظر: العزاوي، أبوبكر، اللغة والحجاج، ص ٢٧- الشهري، إستراتيجيات الخطاب، ص ٥٠٨.

(٣) المبخوت، شكري، نظرية الحجاج في اللغة، ضمن كتاب مجمع (أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم)، إشراف: حمادي صمود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية تونس ١، كلية الآداب بمنوبة، ص ٣٧٦.

(٤) حمداوي، جميل، التداوليات وتحليل الخطاب، مكتبة المثقف، المغرب، ط ١، ٢٠١٥م، ص ٣٧.

ويعرف كريستيان بلانتان الرابط بأنه: "كلمة تعليق وتوجيه يصل بين معلومات نص وحجاجاته، ويضع خاصة ما في النص من معلومات في خدمة مقصده الحجاجي الشامل"[1]، أي أن الرابط الحجاجي يوجه المتلقي في فهم الحجة، ويقوده نحو النتيجة المراد إثباتها.

١ – إذن

يقول سيبويه: "وأما إذن فجواب وجزاء"[2]، واختلف النحاة في تفسير هذه العبارة، فمنهم من ذهب إلى أنها تدل على المعنيين في كل موضع، ومنهم من ذهب إلى أنه الأكثر، وقد تكون للجواب وحده، نحو أن يقول القائل: أحبُّك، فتقول: إذن أظنك صادقا، فلا يتصور هنا الجزاء[3]، ويقول المالقي: "والصحيح أنها شرط في موضع، وجواب في موضع، وإذا كانت شرطا فلا تكون إلا جوابا، وهذا هو المفهوم من كلام سيبويه"[4].

وردت (إذن) في آيات نطاق الدراسة مرة واحدة، في قوله تعالى: ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ لِتَفۡتَرِيَ عَلَيۡنَا غَيۡرَهُۥۖ **وَإِذٗا** لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلٗا ﴾ (الإسراء: ٧٣).

يقول أبو حيان: "وإذًا حرف جواب وجزاء، ويقدر قسم هنا تكون (لاتخذوك)

---

(١) بلانتان، كريستيان، الحجاج، ترجمة. عبد القادر المهيري، ص١٢٠.

(٢) سيبويه، أبو بشر عثمان بن قنبر (١٨٠هـ)، الكتاب، دار القلم، بيروت، ١٩٦٦م،ج ٤، ص ٢٣٤.

(٣) ينظر: المالقي، أحمد بن عبد النور (٧٠٢هـ)، رصف المباني في شرح حروف المعاني، ت: أحمد محمد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، بدون تاريخ، ص ٦٢– المرادي، الحسن بن قاسم (٧٤٩هـ)، الجنى الداني في حروف المعاني، ت: فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٢م، ص ٣٦٤ – ابن هشام، جمال الدين عبد الله بن يوسف (٧٦١هـ)، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ت: صلاح عبد العزيز علي، دار السلام، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٤م، ج١، ص ٢٨.

(٤) ينظر المالقي، رصف المباني، ص ٦٣.

جوابا له، والتقدير: والله إذًا، أي: إن افتتنت وافتريت لاتخذوك"[1]، أي أنه "إذا وقع بعد (إذن) الماضي مصحوبا باللام، ... فالظاهر أن اللام جواب قسم مقدر قبل (إذًا)"[2]، ويقدر في هذه الآية بـ " لو فعلت ما أرادوا لاتخذوك خليلا "[3].

فقول المالقي: "وإذا كانت شرطا فلا تكون إلا جوابا"، يعني أن (إذن) تفيد الجزاء المباشر المترتب على الشرط المقدر.

وبعد هذا العرض نستطيع تناول "إذن" بوصفه رابطا حجاجيا على النحو التالي:

١ – (إذن) أداة انتقال من الشرط المفترض (فعل ما يريدون)، إلى نتيجته المباشرة (اتخاذهم الرسول خليلا).

٢ – تؤدي وظيفة الربط الحجاجي النتائجي، أي أنه إذا حصل الافتراء (الشرط)، النتيجة الحتمية له: اتخاذك خليلا.

٣ – هذا الربط يُقدَّم بصيغة لا تحتمل التردد والاحتمال، بل تقرير حتمي مباشر، وهذا يزيد من قوة الحجة.

٢ – أو

(أو) حرف عطف، يأتي لمعان كثيرة، وأشار ابن هشام إلى أن المتأخرين ذكروا له معاني انتهت إلى اثني عشر[4]، ومنها: الشك، والإبهام، والتخيير، والإباحة، والتقسيم، والإضراب.

وردت "أو" في آيات نطاق الدراسة ثلاث مرات، في (يونس: ١٥)، وفي

---

(١) أبو حيان، تفسير البحر المحيط، ج ٦، ص ٦١، ٦٢ – وينظر السمين الحلبي، أحمد بن يوسف (٧٥٦هـ)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ت: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، ط ١، ١٩٨٦م، ج٧، ص٣٩٢.

(٢) المرادي، الجنى الداني، ص ٣٦٤.

(٣) القاسمي، تفسير القاسمي، ج ١٠، ص ٣٩٥٥ – وينظر الآلوسي، أبو الفضل السيد محمود (١٢٧٠هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، بدون تحقيق، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ، ج ١٥، ص ١٢٨.

(٤) ينظر ابن هشام، مغني اللبيب، ج ١، ص ٨٨.

(الحج :٤٦، ٥٥).

١ – قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ (يونس: ١٥).

نزلت الآية في المستهزئين بالقرآن من أهل مكة[١]، عرضوا هذا الاقتراح للنبي صلى الله عليه وسلم؛ إطماعا له بأن يؤمنوا به مغايرا، أو مبدلا، إذا وافق هواهم[٢]، وفي اقتراحهم هذا كيد ومكر؛ لأنه يتضمن كون القرآن من عند محمد صلى الله عليه وسلم[٣].

(أو) المسبوقة بالأمر تأتي للتخيير وللإباحة[٤]، والفرق بينهما "جواز الجمع في الإباحة، ومنع الجمع في التخيير"[٥].

فـ "أو" في الآية حرف عطف للتخيير، حيث طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم أحد أمرين:[٦] الإتيان بقرآن غير هذا القرآن، وإما تبديل هذا القرآن بنسخ بعض آياته.

ولكن جاء الرد بالنفي على أحد هذين الأمرين، وهو قوله: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِ نَفْسِىٓ ۖ﴾، وقيل في سبب ذلك: إن النبي نفى عن نفسه

---

(١) ينظر أبو حيان، تفسير البحر المحيط، ج ٥، ص ١٣٥.

(٢) ينظر ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، ج ١١، ص ١١٦.

(٣) ينظر الزمخشري، الكشاف، ج ٢، ص ٣٥٣.

(٤) ينظر ابن هشام، مغني اللبيب، ج ١، ص ٨٨.

(٥) المرادي، الجنى الداني، ص ٣٢٨ – وينظر الرضي، محمد بن الحسن الإستراباذي (٦٤٦هـ)، شرح الرضي على كافية ابن الحاجب، ت: عبد العال سالم مكرم، عالم الكتب، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٠م، ج ٦، ص ١٦٤.

(٦) ينظر: الرازي، تفسير الفخر الرازي (مفاتيح الغيب)، ج ١٧، ص ٥٨– الشوكاني، فتح القدير، ص ٦١٥.

أسهل القسمين؛ ليكون دليلا على نفي الأصعب منهما بالطريق الأولى، أي أن جوابه عن الأسهل يكون جوابا عن الأصعب[1].

ويفهم أمر آخر أن التخيير بين الأمرين ليس على السواء، وإنما قدموا الأصعب من باب تعجيزهم للنبي صلى الله عليه وسلم، كأنهم قالوا: إن لم تستطع الأول فافعل الثاني.

ومما سبق يتضح أن الواو ليست رابطا نحويا فحسب، بل هو رابط حجاجي أدى الوظائف الآتية:

١ – التوسيع الحجاجي: وسعت دائرة الاعتراض، فطلب الكفار لم يقتصر على شيء واحد.

٢ – التكثيف الحجاجي: بتعدد المطالب تَضاعفَ الضغط على النبي صلى الله عليه وسلم، فصار الخصم كأنه أكثر إلحاحا.

٣ – الإيهام بالمرونة: ظاهر (أو) يوحي بالمرونة في المطلب (إن لم تستطع الأول فافعل الثاني) لكنها في حقيقتها مراوغة جدلية تهدف إلى التشكيك في مصدرية القرآن.

٤ – وكذلك توحي (أو) في هذا السياق بالتدرج، فالطلب الأصعب، أو الأهم هو الذي يسبقها، ثم الذي يليها.

وأخيرا جاء الرد ﴿ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلۡقَآيِٕ نَفۡسِيٓۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ﴾، قاطعا ليغلق باب الحجاج برمته، مثبتا أن مصدر القرآن وحي إلهي، لا مجال فيه لاختراع أو تبديل.

وبذلك تجلت "أو" أداة فاعلة في بنية الحجاج القرآني؛ حيث كشفت عن إستراتيجيات المعترضين، ومهدت للرد الإلهي الحاسم للقضية.

٣ – ثم

---

(١) ينظر: الرازي، تفسير الفخر الرازي (مفاتيح الغيب)، ج ١٧، ص ٥٩– الشوكاني، فتح القدير، ص ٦١٥.

من مواضع ورود "ثم" في الآيات نطاق الدراسة ما يأتي:

١ – قوله تعالى:﴿ وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ ﴾ (سورة الحج: ٤٤)، الحرف "ثُمّ" عند جمهور النحاة حرف عطف يفيد الترتيب والتراخي، أما "ثم" بوصفها رابطا حجاجيا، فينظر إليها على أنها أداة تربط بين حجتين، أو فكرتين، بشكل يحقق انتقالا في مسار الاستدلال.

فالآية ذكرت تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم، بأن تكذيب قومه له ليس بدعا، بل إن كثيرا من الأنبياء كُذِّبوا من قبل أقوامهم، فأمهلهم الله ثم أخذهم بالعقاب، "فلكل قوم من هؤلاء تعقيب إملائه، والأخذ حاصل بعد الإمهال بمهلة؛ فلذلك عطف فعله بحرف المهلة"(١).

والبعد الحجاجي لـ (ثم) يتمثل فيما يأتي:

١ – الهدف الإقناعي: الاستدلال على أن الإملاء (الإمهال) لا يعنى الغفلة، أو العجز عن العقاب، بل هو سنة إلهية تنتهي بالأخذ والعقوبة الشديدة.

٢ – القيمة الحجاجية: تُظهر أن العقوبة ليست عشوائية، بل تأتي بعد الإمهال، مما يقطع أي شبهة عن ظلم أو استعجال، وهذا يجعل النتيجة (الأخذ) أكثر إقناعا وعدلا.

٣ – الانتقال الحجاجي: تنقل المخاطب من حجة الإمهال (إثبات حلم الله)، إلى حجة الأخذ (إثبات عدل الله وقدرته)، بترتيب منطقي مقنع.

٤ – التذكير بأن تأخير الوعيد لا يقتضي إبطاله(٢).

٢ – قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ

---

(١) ينظر ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، ج ١٧، ص ٢٨٤.

(٢) ينظر السابق، ج ١٧، ص ٢٩٢، ٢٩٣.

حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ ﴾ (سورة الحج: ٥٢)، الآية تتحدث عن سنة إلهية، وهي أن الشيطان يحاول إلقاء ما يشوش به على رسالة الأنبياء والرسل بشبه يزينها لأوليائه، "فينسخ الله ما يلقي الشيطان"، أي: فيبطل ما يلقيه من تلك الشبه، ويذهب به بتوفيق النبي، أو بإنزال ما يرده، "ثم يحكم الله آياته"، أي: يأتي بها محكمة مثبتة لا تقبل الرد، بوجه من الوجوه"[١].

ويقول ابن عاشور: "و(ثم) في قوله تعالى: "ثم يحكم الله آياته" للترتيب الرتبي؛ لأن إحكام الآيات وتقريرها أهم من نسخ ما يلقي الشيطان؛ إذ بالإحكام يتضح الهدى، ويزداد ما يلقيه الشيطان نسخا"[٢]، ويقول الآلوسي: "وثم للتراخي الرتبي؛ فإن الإحكام أعلى رتبة من النسخ"[٣].

فـ "ثم" في الآية، ليست لترتيب الأحداث فحسب، ولكنها تدل على التراخي الرتبي، والانتقال الحجاجي، فما قبلها "فينسخ الله ما يلقيه الشيطان" عملٌ مهم، ولكن ما بعدها "يحكم الله آياته" أعظم رتبة، وأكثر إقناعا في الحجة.

ويتلخص البعد الحجاجي لـ "ثم" فيما يأتي:

١ – التصعيد الحجاجي: تبدأ الحجة بنسخ وإبطال ما ألقاه الشيطان (دفع الشبهة)، ثم الانتقال إلى إحكام الآيات (التثبيت).

٢ – التدرج المنطقي: لا يكفي في الإقناع مجرد إزالة الباطل، بل لا بد من إحكام الحق، وإظهاره واضحا، وهو ما أتى بعد (ثم).

٣ – الرسالة الإقناعية: نسْخُ الله لما يلقي الشيطان هو في ذاته دليل على حفظه للوحي، أما إحكام الآيات بعد ذلك، فهو برهان أقوى على كمال الحفظ وتمام الحجة.

٣ – قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا

(١) الآلوسي، روح المعاني، ج ١٧، ص ١٧٣.

(٢) ينظر ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، ج ١٧، ص ٣٠٠.

(٣) الآلوسي، روح المعاني، ج ١٧، ص ١٧٣.

مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ (الحاقة: ٤٤ – ٤٦).

هذه الآيات استدلال لما هو مقرر في الأذهان من أن الله واسع القدرة، وأنه عليم فلا يقرر أحدا على أن يقول عنه كلاما لم يقله، أي لو لم يكن القرآن منزلا من عندنا، ومحمد – صلى الله عليه وسلم– ادَّعى أنه منزل منا، لما أقررناه، ولعجلنا بإهلاكه، فعدم هلاكه صلى الله عليه وسلم دال على أنه لم يتقوّل على الله عز وجل[1].

تفيد "ثم" نحويا الترتيب مع التراخي، أي: لو افتُرِض أن النبي صلى الله عليه وسلم تقوّل على الله، لبدأ العقاب بالأخذ باليمين أولا، ثم يأتي بعده قطع الوتين، أما عند النظر إليها بوصفها رابطا حجاجيا، فنجد أن (ثم):

١ – تصعِّد الحجة: فالآية تبني عقابا افتراضيا على درجتين، بحيث تكون الثانية أشد وأبلغ من الأولى، فقطع الوتين وهو "عرق في القلب إذا انقطع مات صاحبه"[2] أشد من الأخذ باليمين.

٢ – تربط بين مرحلتين من الاستدلال التهويلي: المرحلة الأولى إثبات قدرة الله على الأخذ القوي بدون إمهال[3]، والثانية تأكيد أن الأمر يبلغ غايته النهائية وهو الموت الحتمي، إن وقع الافتراء.

٣ – تضيف قوة إقناعية: فالمتلقي يسلم أولا بقوة الأخذ، ثم يزداد يقينه بشدة الجزاء عند سماع النهاية المهلكة.

٤ – تخلق مسافة ذهنية: الانتقال بـ (ثم) هنا يوحي بأن بين الأخذ والقطع

---

(١) ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج ٤، ص ٤٥٩ – ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، ج ٢٩، ص ١٤٤.

(٢) الفيروزابادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (٨١٧هـ)، القاموس المحيط، إعداد وتقديم محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٩٩٧م، مادة (و ت ن)، ج ٢، ص ١٦٢٥.

(٣) ينظر ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، ج ٢٩، ص ١٤٥.

مهلة تزيد وقع التهديد في نفس السامع، إذ تُظهر أن العقوبة منظمة ومتدرجة، وليست عشوائية.

وكل هذه الأمور تنصب في خدمة النتيجة الكبرى وهي تفنيد قصة الغرانيق، فالقرآن محفوظ، واحتمال الافتراء معدوم.

٤ – حتى

أشار المالقي إلى أن "حتى" معناها "الغاية" في جميع الكلام(١)، وذهب ابن هشام إلى أن "انتهاء الغاية" هو الغالب فيها(٢)، وهي عند النحاة على ثلاثة أوجه:(٣) جارة، وعاطفة، وابتدائية.

تناول بعض منظري الروابط الحجاجية في اللغة العربية "حتى العاطفة" بالشرطين اللذين أشار إليهما النحاة في المعطوف بها، وهما:(٤)

١ – أن يكون بعض ما قبلها أو كبعضه، نحو: قدم الحجاج حتى المشاة، وأكلت السمكة حتى رأسها، وقدم الصيادون حتى كلابهم.

٢ – أن يكون غاية لما قبلها في زيادة أو نقص، والزيادة تشمل القوة والتعظيم، والنقص يشمل الضعف والتحقير، نحو مات الناس حتى الأنبياء.

وأشاروا إلى أن "حتى" بهذين الشرطين توافق الوصف الحجاجي الذي قدمه ديكرو وأنسكومبر للأداة المقابلة لـ "حتى" الحجاجية في اللغة الفرنسية (Meme)(٥)، وأنها بهذا الوصف تمثل أداة من أدوات السلم الحجاجي(٦)، ودوها

---

(١) ينظر المالقي، رصف المباني، ص ١٨٢.

(٢) ينظر ابن هشام، مغني اللبيب، ج١، ص ١٦٩.

(٣) ينظر: المالقي، رصف المباني، ص ١٨١، ١٨٢– المرادي، الجنى الداني، ص ٥٤٢– ابن هشام، مغني اللبيب، ج١، ص ١٦٩– ١٧٨.

(٤) ينظر: المالقي، رصف المباني، ص ١٨١– المرادي، الجنى الداني، ص ٥٤٧، ٥٤٨.

(٥) ينظر العزاوي، أبو بكر، اللغة والحجاج، ص ٧٣.

(٦) ينظر: الشهري، عبد الهادي، إستراتيجيات الخطاب، ص ٥١٧ – ٥١٩– الناجح، عز الدين، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، مكتبة علاء الدين، صفاقس، تونس، ط ١،

يتمثل في إدراج حجة جديدة، أقوى من الحجة المذكورة قبلها، والحجتان تخدمان نتيجة واحدة، لكن بدرجات متفاوتة من حيث القوة الحجاجية[1].

وردت "حتى" في آيات نطاق الدراسة مرة واحدة، وهي في قوله تعالى:﴿ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴾ (الحج: ٥٥)

وعلى الرغم من كون "حتى" في هذه الآية ليست العاطفة، التي تحدث عنها الحجاجيون بوصفها عاملا حجاجيا له قيمته في السلم الحجاجي، فإنها لها أثرها في توجيه الخطاب نحو النتيجة وهي" تفنيد قصة الغرانيق"، فهذه الآية امتداد للآيات التي جاءت تسلية للنبي صلى الله عليه و سلم، حيث أخبر أن المشركين مستمرون في مريتهم وشكهم في القرآن الكريم إلى أن يلاقوا نهايتهم المذكورة في الآية.

فـ "حتى" هنا حرف غاية وجر، غاية لاستمرار مريتهم، فالمعنى: حتى تأتيهم الساعة، أو عذاب يوم عقيم؛ فتزول مريتهم[2]، وهي أداة تربط بين حدثين هما: استمرار الشك، ووقوع الساعة أو العذاب.

وتجدر الإشارة إلى أن "حتى" ليس أداة غاية نحوية فحسب، بل هي عنصر يوجه الحجة، أي أنها تؤدي وظيفة خطابية، تؤثر في إقناع المخاطب، أو حمله على موقف معين.

ويمكن بيان حجاجية "حتى" في هذا السياق فيما يأتي:

١ – فـ "حتى" غاية للفعل المضارع "لا يزال" الدال على استمرار التكذيب

٢٠١١م، ص ١٣٣ – ١٣٨.

(١) ينظر العزاوي، أبو بكر، اللغة والحجاج، ص ٢٧.

(٢) ينظر: أبو حيان، تفسير البحر المحيط، ج ٦، ص ٣٥٤– الخطيب، عبد اللطيف محمد، ومصلوح، سعد، والعلوش، رجب حسن، التفصيل في إعراب آيات التنزيل، مكتبة الخطيب للنشر والتوزيع، الكويت، ط ١، ٢٠١٥م، مجلد ٩، ج ١٧، ص ٣١٨.

في المستقبل[1]، ومعناه أن الشك في القرآن (المرية) ستستمر عند الكافرين إلى أن تقع إحدى الغايتين:

– مجيء الساعة بغتة.

– مجيء عذاب عقيم.

فهي تضيف وزنا حجاجيا بإظهار الاستمرارية، أو الإصرار على المرية من قبل الكافرين.

٢ – "حتى" هنا تغلق النطاق الزمني للحجة (التلازم بين الاستمرار في الشك وبلوغ الغاية الحتمية)، أي أن حالة الشك ليست بلا نهاية، بل لها نهاية محتومة، لا يستطيعون دفعها.

٣ – تقوم بدور المفصل الحجاجي الذي يوجه النقاش من وصف الحالة إلى إقناع السامع بضرورة تغيير موقفه قبل فوات الأوان.

٥ – الفاء

ترد الفاء عند النحاة على ثلاثة أوجه:[2]

أولا: العاطفة

وتفيد ثلاثة أمور:

١ – الترتيب، وهو نوعان: معنوي وذكري

٢ – التعقيب (الاتصال) وهو في كل شيء بحسبه.

٣ – السببية، ويغلب ذلك في العاطفة جملة، أو صفة، فالأول نحو قوله تعالى: ﴿ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ﴾(القصص: ١٥)، والثاني نحو: ﴿ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ (الواقعة: ٢٥، ٥٣).

ويقول المالقي: "والربط والترتيب لا يفارقانها"[1]، أما التسبب معهما فبحسب

---

(١) ينظر ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، ج ١٧، ص ٣٠٨.

(٢) ينظر: المالقي، رصف المباني، ص ٣٧٦– ٣٨٦– المرادي، الجنى الداني، ص ٦٤ – ٧٠– ابن هشام، مغني اللبيب، ج١، ص ٢٢١– ٢٢٧.

الضابط المذكور.

ثانيا: الجوابية، وهي الواقعة في جواب: الطلب، أو النفي، أو الشرط، وتفيد السببية والربط والترتيب.

ثالثا: الزائدة.

ووردت الفاء في آيات نطاق الدراسة ثلاث عشرة مرة تقريبا، وسأتناول البعد الحجاجي لبعض المواضع التي لها أثر واضح في توجيه الحجة نحو النتيجة المرادة.

١ – قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ (الأنعام: ١١٢)، الفاء في الآية هي الفاء الفصيحة، حيث أفصحت عن شرط مقدر، أي: إذا كان الأمر كذلك فذرهم[٢]، ويقول أبو السعود: "أي: إذا كان ما فعلوه من إحكام عداوتك من فنون المفاسد بمشيئته تعالى فاتركهم وافتراءهم، أو ما يفترون"[٣]، فإن الله كافيك وناصرك عليهم[٤].

فالفاء هنا ربطت بين مضمونين أو قضيتين متلازمتين في سياق الحجاج:

الأولى: تقرير أن إيحاء شياطين الإنس والجن بعضهم إلى بعض واقع بمشيئة الله.

---

(١) ينظر المالقي، رصف المباني، ص ٣٧٧.

(٢) ينظر: الخطيب ، ومصلوح، والعلوش، التفصيل في إعراب آيات التنزيل، مجلد ٤، ج ٨، ص ١٦.

(٣) ينظر أبو السعود، محمد بن محمد العمادي (٩٥١هـ)، تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم) بدون تحقيق، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج ٣، ص ٣٧٦.

(٤) ينظر ابن كثير، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل (٧٧٤هـ)، تفسير ابن كثير، ت: مصطفى السيد محمد وآخرين، مؤسسة قرطبة، الجيزة، ط١، ٢٠٠٠م، ج ٦، ص ١٤٣.

الثانية: النتيجة العملية المترتبة على هذا التقرير هو الأمر بتركهم وما يفترون.

إذن الفاء هنا رابط حجاجي يدفع المخاطب (الرسول صلى الله عليه وسلم) إلى التسليم بأن التدخل في منع هؤلاء ليس مطلوبا منه؛ لأن أمرهم راجع إلى مشيئة الله تعالى.

ويتضح أيضا البعد الحجاجي للفاء في هذا السياق بما يأتي:

١ – يلمح من الخطاب سؤال واستفسار، وهو: كيف يترك أعداء الأنبياء يوحون بالباطل؟

٢ – وجاء الجواب بحجة كبرى، وهي: (لأن فعلهم داخل في مشيئة الله تعالى).

فجاءت الفاء؛ لتربط تلك الحجة بالنتيجة (إذن لا تبالغ في شأن هؤلاء، ولا ترهق نفسك، بل اتركهم وما يفترون).

فالربط بالفاء هنا يجعل الحجة أكثر إحكاما؛ لأنها تنقل السامع من التساؤل إلى النتيجة المقنعة.

وهذه الحجة تساند النتيجة العامة، وهي تكذيب قصة الغرانيق، وأن إيحاء شياطين الإنس والجن بعضهم إلى بعض واقع بمشيئة الله، ولا يؤثر في القرآن، وأن الله حافظ قرآنه، وناصر نبيه.

٢ – قوله تعالى: ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴾ (الأعلى: ٦)، الفاء هنا عاطفة، وأفادت معنى السببية؛ لأنها عطفت جملة (لا تنسى) على جملة (نقرئك)، أي: عدم النسيان ناتج عن إقراء الله له، "فهذا موقع البيان الصريح بوعده بأنه سيعصمه من نسيان ما يقرئه، فيبلغه كما أوحي إليه، ويحفظه من التفلت عليه"[(١)]، والسين في (سنقرئك) دالة على أن الإقراء سيتجدد[(١)].

---

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، ج ٣٠، ص ٢٧٩. ذهب بعض المفسرين إلى أن "لا" ناهية، والألف في "ينس" إشباع، أو مزيدة للفاصلة. وحول

فالفاء هنا ليست رابطا نحويا فحسب، بل تؤدي وظيفة حجاجية حيث تربط النتيجة بالسبب، فالحجة هي (أن الله تعالى هو الذي يتولى الإقراء) والنتيجة المترتبة على ذلك (عدم النسيان)؛ لأن حفظ الوحي مرتبط بضمان إلهي.

فالوعد الإلهي جاء مقترنا بالفاء؛ ليثبت أن العلاقة بين الإقراء والحفظ علاقة متلازمة، فمن تكفل الله بتعليمه فلا يمكن أن ينسى.

٣- قوله تعالى: ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴾ (الحج: ٤٢)، الفاء هنا جوابية، ربطت الجواب بالشرط، ودخلت على الجواب لاتصاله بقد، والجملة الداخلة عليها في محل جزم جواب الشرط.

وهذه الآية "تسلية لرسول صلى الله عليه وسلم، وتأسٍ بمن تقدمه من الأنبياء، وأنك لست منفردا بعداوة من عاصرك، بل هذه سنة من قبلك من الأنبياء"(٢).

فجاءت الفاء لتربط ذلك التكذيب الراهن (تكذيب كفار قريش للنبي صلى الله عليه وسلم) بالتكذيب السابق (تكذيب الأقوام السابقين لأنبيائهم)، فالحجة: الأنبياء جميعا واجهوا تكذيبا، فأنت لست بدعا بينهم، والنتيجة: لا مجال للاضطراب أو اليأس، فالعاقبة دائما للحق.

فالفاء بوصفها رابطا حجاجيا أدت وظيفة الانتقال من فرضية الحاضر (تكذيب كفار قريش)، إلى برهان من الماضي (تكذيب الأمم السابقة لأنبيائهم)، وبذلك تكون النتيجة (هذا التكذيب ليس طعنا في الرسالة) مقنعة عبر الاستدلال

التفصيل فيها ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج ٤، ص ٥٧٨ – أبو حيان، تفسير البحر المحيط، ج ٨، ص ٤٥٣ – السمين الحلبي، الدر المصون، ج ١٠، ص ٧٦١.

(١) ينظر ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، ج ٣٠، ص ٢٨٠.

(٢) ينظر: أبو حيان، تفسير البحر المحيط، ج ٤، ص ٢٠٩ – ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، ج ٨، ص ٨.

التاريخي.

وكل هذا ينصب أيضا في خدمة النتيجة النهائية، فتكذيب قريش له ليس فيه ما يقدح في صدق الرسالة، أو يضعف موقف الرسول صلى الله عليه وسلم.

٤ – قوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ (الحج: ٤٦).

الفاء في (فتكون) "سببية جوابية، مسبب ما بعدها على السير، أي لم يسيروا سيرا تكون لهم به قلوب يعقلون بها، وآذان يسمعون بها، أي انتفى أن تكون لهم قلوب وآذان بهذه المثابة؛ لانتفاء سيرهم في الأرض، وهذا شأن الجواب بالفاء بعد النفي، تدخل الفاء على ما هو مسبب على المنفي لو كان ثابتا"(١)، فالفاء أفادت أن السير في الأرض سبب في أن تكون لهم قلوب تعقل وتبصر.

تأتي الآية في سياق دعوة القرآن الكافرين إلى أن ينظروا في مصير الأمم السابقة؛ ليروا كيف أهلكها الله؛ بسبب تكذيبهم للرسل.

والغرض الحجاجي هو إقناع المخاطبين بالعظة والاعتبار بما آل إليه مصير الأمم التي قبلهم، وذلك عبر توجيههم إلى السير في الأرض، والتفكر في آثار التاريخ.

أي أن الفاء لا تقوم بوظيفة الربط النحوي فحسب، بل تتجاوز ذلك إلى الربط الحجاجي، وذلك على مستويات:

---

(١) ينظر: ابن عاشور، الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، ج ١٧، ص ٢٨٧، ٢٨٨– الخطيب، ومصلوح، والعلوش، التفصيل في إعراب آيات التنزيل، م ٩، ج ١٧، ص ٣٠١. نقل السمين الحلبي خلافا في نصب (تكون) يقول: "هو منصوب على جواب الاستفهام، وعبارة الحوفي على جواب التقرير، وقيل على جواب النفي" (ينظر السمين الحلبي، الدر المصون، ج ١٠، ص ٧٦١).

١ – الربط السببي

٢ – السير في الأرض هو وسيلة أو سبب لإنتاج نتيجة عقلية ووجدانية وهي الاعتبار.

٣ – إقامة علاقة تلازمية بين مقدمة ونتيجة تقوي الحجة.

– المقدمة: السير في الأرض، ورؤية آثار الأمم السابقة.

– النتيجة: حصول العظة والاعتبار، وامتلاك قلوب تبصر وتعقل.

الخطاب القرآني يستثمر الفاء لتوليد (برهان التجربة)، فطالما السير فعل مشاهد وممكن، فالنتيجة (العظة والاعتبار) حاصلة بالضرورة، وهذا يضيف قوة حجاجية؛ لأن المخاطب لا يستطيع أن ينكر الواقع التاريخي الماثل.

وبالتالي فالفاء هنا أداة إقناع تُرغم المخاطب على التسليم بأن عدم الاعتبار تقصير ذاتي، لا نقص في الحجة.

٦ – لكن

وردت "لكن" في الآيات نطاق الدراسة مرة واحدة، وهي في قوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ (الحج: ٤٦)

تستعمل "لكن" للعطف والاستدراك، وتأتي لمجرد الاستدراك، وتأتي حرف ابتداء يستأنف بعدها الكلام[١]، وهي هنا للاستدراك؛ لدخول الواو عليها[٢]، ويقول الرضي: "وهي مع الواو ليست عاطفة اتفاقا"[٣].

وشرطها "مغايرة ما قبلها لما بعدها نفيا وإثباتا من حيث المعنى لا من حيث

---

(١) ينظر ابن يعيش، موفق الدين، يعيش بن يعيش (٦٤٣هـ)، شرح المفصل، بدون تحقيق، مكتبة المتنبي، القاهرة، بدون تاريخ، ج ٨، ص ١٠٦.

(٢) ينظر السابق، ج ٨، ص ١٠٦.

(٣) الرضي، شرح الرضي على كافية ابن الحاجب، ج ٦، ص ١٩١.

اللفظ"[1].

وتعد "لكن" من أشهر الروابط الحجاجية التي تعبر عن علاقة الاستدراك، أي: إلغاء أو تعديل أثر ما قبلها، وإبراز ما بعدها بوصفه الأهم أو الأصح، "فكل خطاب تالٍ لها هو الحجة الأقوى"[2].

قدّم أبوبكر العزاوي وصفا لـ "لكن" حين استعمالها حجاجية، يمكن تلخيصه فيما يلي:

إن التلفظ بأقوال من نمط (أ لكن ب) يستلزم أمرين اثنين: [3]

١ – أن المتكلم يقدِّم (أ) و (ب) باعتبارهما حجتين، الحجة الأولى موجهة نحو نتيجة معينة (ن)، والحجة الثانية موجهة نحو النتيجة المضادة لها، أي: (لا – ن).

٢ – أن المتكلم يقدم الحجة الثانية باعتبارها الحجة الأقوى، وباعتبارها توجه القول أو الخطاب برمته.

وهذا ما أفدته "لكن" في هذه الآية، ويمكن توضيحه على النحو التالي:

- قبل (لكن): تقرير حقيقة ظاهرية، وهي نفي العمى عن الأبصار "لا تعمى الأبصار".
- بعد (لكن): بيان الحقيقة الجوهرية وهي إثبات العمى للقلوب "تعمى القلوب".

فـ (لكن) هنا ربطت بين القضيتين؛ لتظهر مفارقة حجاجية، تنفي السبب الذي قد يظنه المخاطب (ضعف البصر)، وتؤكد السبب الحقيقي (فساد القلب والبصيرة).

وقامت "لكن" أيضا بتصعيد قوة الحجة، فجعلت ما بعدها هو النقطة الحاسمة، التي تبنى عليها الإدانة الحجاجية للمخاطَب.

---

(١) السابق، ج ٦، ص ١٩١.

(٢) ينظر الشهري، عبد الهادي، إستراتيجيات الخطاب، ص ٥١١.

(٣) ينظر العزاوي، أبو بكر، اللغة والحجاج، ص ٥٨.

وبهذا يتضح أن "لكن" رابط حجاجي استدراكي، حول مسار الحجة من السبب الظاهري إلى السبب الحقيقي والأقوى في تكذيب الكفار لمحمد صلى الله عليه وسلم، وهو عمى القلب والبصيرة، بما يضفي على الخطاب قوة إقناعية، ويغلق أي مخرج للتأويل المبرر لسلوك الكفار.

٧ – لام التعليل

ومن مواضع ورودها في آيات الدراسة قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٢ لِّيَجۡعَلَ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ٥٣ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤۡمِنُواْ بِهِۦ فَتُخۡبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٤ ﴾ (الحج: ٥٣، ٥٤).

اللام في (ليجعل) حرف جر يفيد التعليل وقيل العاقبة، والمصدر المؤول بعدها في محل جر، وفي متعلق هذه اللام ثلاثة أوجه:[١] فهو متعلق بـ: ينسخ، أو يحكم، أو يلقي وهو غير ظاهر، وقوله: "وليعلم الذين" عطف على قوله: "ليجعل" عطف علة على مثلها[٢].

ويرى ابن عاشور أن اللامين متعلقان بـ "ينسخ"، وأن لام "ليعلم" هو على أصل معنى التعليل، أي: ينسخ الله ما يلقي الشيطان؛ لإرادة أن يعلم المؤمنون

---

(١) ينظر: أبو حيان، تفسير البحر المحيط، ج ٦، ص ٣٥٣ – السمين الحلبي، الدر المصون، ج ٨، ص ٢٩٣، ٢٩٤ – ابن عادل الدمشقي، أبو حفص عمر بن علي (٨٨٠هـ)، اللباب في علوم الكتاب، ت: عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٨م، ج ١٤، ص ١٢٦، ١٢٧، الآلوسي، روح المعاني، ج ١٧، ص ١٧٤.

(٢) ينظر السمين الحلبي، الدر المصون، ج ٨، ص ٢٩٤.

أنه الحق[1]، من ربك، الذي أنزله بعلمه، وحفظه، وحَرَسَه من أن يختلط به غيره[2].

ولا تقتصر وظيفة هذين اللامين على الربط النحوي، بل لهما وظيفة حجاجية، وسنتناول الأولى على أنها متعلقة بالفعل ينسخ، والثانية على أنها متعلقة بالفعل يحكم:

أولا: لام "ليجعل"

ربطت بين (ينسخ) و(يجعل) وهذا يبين أن النسخ الإلهي لا يتم لإزالة الباطل فقط، بل له وظيفة حجاجية: وهي الدلالة على أن إلقاءَ الشيطان فتنةٌ، أي أداة اختبار وتمييز[3].

واللام أيضا دفعت اعتراضا افتراضيا، وهو: لماذا سمح الله للشيطان أن يلقي في أمنية النبي؟، والجواب: لأن النسخ الإلهي له غاية: وهي إقامة الحجة على الذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم.

هذه اللام تؤسس خطابا دفاعيا يبرر ما قد يبدو إشكالا؛ وتصبح عنصرا في

---

(١) ينظر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج ١٧، ص ٣٠١.

(٢) ينظر ابن كثير، تفسير ابن كثير، ج ١٠، ص ٨٧.

(٣) "وإسناد الإلقاء إلى الشيطان دل على أنه إلقاء الضلال والفساد، فالتقدير: أدخل الشيطان في نفوس الأقوام ضلالات تفسد ما قاله الانبياء من الإرشاد، ومعنى إلقاء الشيطان في أمنية النبي والرسول إلقاء ما يضادها، كمن يمكر فيلقي السم في الدسم، فإلقاء الشيطان بوسوسته أن يأمر الناس بالتكذيب والعصيان، ويلقي في قلوب أئمة الكفر مطاعن يبثونها في أقوامهم، ويروج الشبهات... والله تعالى يعيد الإرشاد، ويكرر الهدى على لسان النبي، ويفضح وساوس الشيطان وسوء فعله بالبيان الواضح ...فالله بهديه وبيانه ينسخ ما يلقي الشيطان، أي يزيل الشبهات التي يلقيها الشيطان ببيان الله الواضح، ويزيد آيات دعوة رسله بيانا، وذلك هو إحكام آياته، أي تحقيقها وتثبيت مدلولها وتوضيحها بما لا شبهة بعده إلا لمن رِين على قلبه" (ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج ١٧، ص ٢٩٨، ٢٩٩).

تدعيم مصداقية القرآن الكريم.

ثانيا: لام "ليعلم"

يظهر الجانب الحجاجي لهذه اللام فيما يأتي:

١ – الربط بين (يحكم) و(يعلم) يعمق أثر الإحكام الإلهي للآيات، فهو ليس مجرد تصحيح لما ألقي فيه الباطل، بل يقود إلى يقين ثابت عند أهل العلم والبصيرة.

٢ – هذه اللام تمثل الجانب الإيجابي، المقابل للأولى، فهذه تخص فريق الهداية والعلم واليقين، بينما الأولى تخص فريق الضلال (فتنة).

٣ – هذه الثنائية تضيف قوة حجاجية للنص القرآني؛ إذ يظهران نفس الحادثة (إلقاء الشيطان) تؤدي إلى نتيجتين متعاكستين، بحسب قابلية المتلقي.

إذن اللامان يعملان حجاجيا في خطين متكاملين:

٤ – خط دفاعي سلبي، وهو تبرير وجود الباطل بإظهاره فتنة للمشركين.

٥ – خط إثباتي إيجابي، وهو أن إحكام الآيات ترسيخ لأهل العلم والبصيرة.

٨ – لو

ذكر النحاة في (لو) الشرطية كلاما يحمل صفة حجاجية، يقول ابن مالك في التسهيل: "لو حرف شرط يقتضي امتناع ما يليه، واستلزامه لتاليه"[١]، ويقول في شرحه: "فهي لتعليق ما امتنع لامتناع شرطه ... وتقتضي أيضا امتناع الشرط؛ لأنه لو ثبت لثبت جوابه"[٢]، ويقول المرادي: "لو تدل على أمرين: امتناع

---

(١) ابن مالك، جمال الدين محمد بن عبد الله (٦٧٢هـ)، شرح التسهيل، ت: عبد الرحمن السيد، ومحمد بدوي المختون، دار هجر، القاهرة، ط ١، ١٩٩٠م، ج ٤، ص ٩٣.

(٢) السابق، ج ٤، ص ٩٤.

شرطها، والآخر كونه مستلزما لجوابها"[1]، ويقول ابن هشام بعد ذكره تفصيلا طويلا حول لو: "ويتلخص من هذا أن يقال: إن لو تدل على ثلاثة أمور: عقد السببية والمسببية، وكونها للماضي، وامتناع السبب"[2].

وردت (لو) في آيات نطاق الدراسة في آيتين: الأولى: في سورة الأنعام: ١١٢، والأخرى في سورة الحاقة: ٤٤، وسنكتفي ببيان البعد الحجاجي لموضع الحاقة؛ لأنه الأقرب لإثبات النتيجة العامة، وهي تفنيد قصة الغرانيق.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾﴾ (الحاقة: ٤٤ – ٤٦).

(لو) حرف شرط غير جازم، وجوابه (لأخذنا)، ولا تدخل اللام على جواب (لو) إلا مع الماضي[3].

والتقول: "أن يقول الإنسان عن آخر أنه قال شيئا لم يقله"[4]، والآية في سياق الاستدلال على أن القرآن منزل من عند الله تعالى، وهو استدلال مبني على ما هو مقرر في الأذهان من الله واسع المقدرة، وأنه عليم فلا يقرر أحدا على أن يقول عنه كلاما لم يقله، أي لو لم يكن القرآن منزلا من عندنا، ومحمد –عليه الصلاة والسلام– ادَّعى أنه منزل منا لما أقررناه على ذلك، ولعجلنا بإهلاكه[5].

فعدم هلاكه صلى الله عليه وسلم "دال على أنه لم يتقوَّله؛ فإن "لو" تقتضي انتفاء مضمون شرطها؛ لانتفاء مضمون جوابها"[6].

---

(١) المرادي الجنى الداني، ج ٤، ص ٢٧٤.

(٢) ابن هشام، مغني اللبيب، ج ١، ص ٣٥٠.

(٣) ينظر ابن يعيش، شرح المفصل، ج ٩، ص ٢٣.

(٤) أبو حيان، تفسير البحر المحيط، ج ٨، ص ٣٢٢.

(٥) ينظر ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، ج ٢٩، ص ١٤٤.

(٦) السابق، ج ٢٩، ص ١٤٤، ١٤٥.

و(لو) ليست مجرد أداة شرط، ولكنها آلية حجاجية قوية؛ وذلك لأنها:

١ – افترضت محالا (تقوُّل النبي صلى الله عليه وسلم)؛ لتؤكد عكسه (أنه لا يمكن أن يكون قد تقوَّل)، وهذا يدخل في باب الإلزام الحجاجي بالنقيض، حيث تبنى الحجة على استحالة الشرط.

٢ – تؤسس لمسار استدلالي، حيث إن الشرط (لو تقوَّل)، والنتيجة أو الجواب (لأخذنا منه باليمين)، فهو لم يؤخذ باليمين، إذن هو لم يتقول، وبذلك تكون (لو) دحضت دعوى الخصوم الذين اتهموا النبي صلى الله علسه وسلم بالافتراء.

(لو) هنا ليست أداة افتراض عابر، بل هي محور الحجة:

– تبني افتراضا مضادا (لو تقول).

– تربط هذا الافتراض بنتيجة صارمة (العقوبة الفورية القوية).

– ثم تسقط هذا الافتراض؛ ليتأكد المخاطب أن النبي _صلى الله عليه وسلم– صادق، وأن ما جاء به وحي من الله لا افتراء، وأنه ما كان له أن يأتي بشيء من عنده.

٩ – لولا

ذكر ابن هشام أربعة أوجه لـ (لولا):[١] أحدها: أن تدخل على جملتين اسمية ففعلية؛ لربط امتناع الثانية بوجود الأولى، الثاني: أن تكون للتحضيض والعرض، الثالث: أن تكون للتوبيخ والتنديم، الرابع: الاستفهام.

والنوع الأول هو المراد في هذا السياق، وهو حرف شرط غير جازم، يطلق عليه "حرف امتناع لوجود أو لوجوب"، أي يقتضي امتناع جوابه لوجود شرطه[٢]، أي أن لولا تدخل على جملتين، تربط إحداهما بالأخرى، وتصير الأولى شرطا

---

(١) ينظر ابن هشام، مغني اللبيب، ج ١، ص ٣٦٧ – ٣٧٠.

(٢) ينظر: المرادي، الجنى الداني، ص٥٩٧ – ابن هشام، مغني اللبيب، ج ١، ص ٣٦٧ – ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، ج١٥، ص ١٧٤.

والثانية جزاء[1]، ويدخل على جوابها اللام؛ "لتأكيد ارتباط الجملة الثانية بالأولى"[2].

وردت "لولا" بهذا المعنى في آيتين من آيات نطاق الدراسة، الأولى في سورة (النساء: ١١٣)، والأخرى في سورة (الإسراء: ٧٤).

قوله تعالى:﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ ﴾ (النساء: ١١٣).

المراد بفضل الله ورحمته نعمة إنزال الكتاب؛ تفصيلا لوجوه الحق في الحكم، وعصمته من الوقوع في الخطأ فيه[3]، ويقول ابن عطية: "والمعنى: لولا عصمة الله لك لكان في الناس من يشتغل بإضلالك، ويجعله همَّ نفسه"[4].

وفي جواب لولا وجهان:[5]

١ – قوله: "لهمت"، وعلى هذا لا يكون قد وجد من الطائفة المذكورة همٌّ بإضلاله.

٢ – أن الجواب محذوف تقديره: لأضلوك، ثم استأنف، فقال: لهمت، أي: لقد همت.

---

(١) ينظر ابن يعيش، شرح المفصل، ج ٨ ، ص١٤٥، ١٤٦.

(٢) ابن يعيش، شرح المفصل، ج ٩ ، ص٢٣ – وينظر ابن عاشور، محمد الطاهر، المحرر الوجيز، ج١٥، ص ١٧٤.

(٣) ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج ١، ص ٤٨٩ – ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، ج ٥، ص١٩٧.

(٤) ابن عطية، المحرر الوجيز، ج ٢، ص ١١٢ – وينظر أبو حيان، تفسير البحر المحيط، ج ٣، ص ٣٦٢.

(٥) ينظر: العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين (٦١٦هـ)، التبيان في إعراب القرآن، ت. محمد علي البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط ٢، ١٩٨٧م، ج ١، ص ٣٨٨، ٣٨٩ – السمين الحلبي، الدر المصون، ج ٤، ص ٨٩.

فـ "لولا" هنا عامل حجاجي يعمل على دحض شبه المشككين، فهو يدل على امتناع "الهم"، أو امتناع "إضلاله من قبلهم" لوجود فضل الله ورحمته بإنزال الكتاب عليه، وعصمته من الوقوع في الخطأ فيه، وهذا يعد دحضا لقصة الغرانيق.

وهناك تكثيف حجاجي أيضا من خلال ما جاء بعد جواب لولا، حيث إن الأمر لم يقتصر على امتناع وقوع الهم أو الإضلال، بل أثبتت أن الإضلال لا يقع إلا على أنفسهم، وأنه لا يُضر بشيء، ثم خُتمت الآية بنعمة إنزال الكتاب عليه، وتعليمه ما لم يكن يعلم.

يقول ابن عاشور: "وجملة "وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة" عطف على "وما يضرونك من شيء" وموقعها لزيادة تقرير معنى قوله "ولولا فضل الله عليك ورحمته"؛ ولذلك ختمها بقوله: "وكان فضل الله عليك عظيما"، فهو مثل رد العجز إلى الصدر"[1].

قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ ﴾ (الإسراء: ٧٤)، والمعنى لولا تثبيتنا لك وعصمتنا "لقد كدت تركن إليهم"[2]، فالركون منتف من أصله؛ لأجل التثبيت بالعصمة، كما انتفى أن يفتنه المشركون عن الذي أوحي إليه؛ بصرف الله إياهم عن تنفيذ فتنتهم[3].

"لولا" هنا حرف امتناع لوجود، أي يقتضي امتناع جوابه (لقد كدت تركن)؛ لوجود شرطه (ثبتناك)، "فمقاربة الركون لم تقع منه فضلا عن الركون، والمانع من ذلك هو وجود تثبيت الله"[4]، فالتثبيت واقع والمقاربة منفية[1].

---

(١) ينظر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج ٥، ص ١٩٧.

(٢) ينظر الزمخشري، الكشاف، ج ٣، ص ٣٣.

(٣) ينظر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج ١٥، ص ١٧٤، ١٧٥.

(٤) أبو حيان، تفسير البحر المحيط، ج ٦، ص ٦٢ وينظر الشوكاني، فتح القدير، ص ٩٧٠.

فـ (لولا) عامل حجاجي جعل ركون النبي صلى الله عليه وسلم لأهواء المشركين أمرا مستبعدا، بسبب تثبيت الله له، فـ (لولا) لم تستبعد الركون فحسب، بل استبعدت مقاربة الركون، وهذ يتضافر مع باقي المؤشرات اللغوية التي تفند قصة الغرانيق، التي ادَّعت أن النبي صلى الله عليه وسلم مدح آلهة الكفار.

١٠ – الواو

الواو عند جمهور النحاة حرف عطف يدل على الجمع المطلق[٢]، وهو من أكثر الروابط ورودا في النص القرآني، وهو متعدد الوظائف: عطف، وجمع، ومصاحبة... إلخ.

أما في بعده الحجاجي، فهو ليس لمجرد العطف، بل هو أداة لتوليد المعنى، وبناء التماسك في بناء الحجة، ويقوم بجمع الحجج الموصلة إلى حكم واحد ألا وهو النتيجة[٣]، لإعطاء قوة أكبر للموقف.

وسأتناول الواو بوصفه رابطا حجاجيا في موضعين من آيات نطاق الدراسة، مبينا أثره في الوصول إلى النتيجة النهائية، وهي تفنيد قصة الغرانيق.

الموضع الأول:

ويتثمل في الآيات الآتية: قوله تعالى: ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ ﴾ (الحج: ٤٢ – ٤٤).

تتناول هذه الآيات موضوع تكذيب المشركين للرسول صلى الله عليه وسلم، فتقيم البرهان على أن هذا التكذيب ليس بدعا، ولكنه امتداد لسنة متكررة من الأنبياء السابقين.

---

(١) أبو حيان، تفسير البحر المحيط، ج ٦، ص ٣٥٢

(٢) ينظر: سيبويه، الكتاب، ج ١، ص ٤٣٨ – المرادي، الجنى الداني، ص ١٥٨ – ابن يعيش، شرح المفصل، ج ٨، ٩٠، ٩١.

(٣) ينظر الناجح، عز الدين، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص ١٥٣.

فبدأت الآيات بذكر تكذيب قوم نوح ثم عطف عليه "وعاد وثمود"، فالواو هنا أدت وظيفة (التراكم الحجاجي) حيث جمعت بين قوم عاد وثمود بعد ذكر قوم نوح؛ لتقوية الحجة بأن التكذيب سلوك متكرر في أزمنة مختلفة.

ثم أدت الواو وظيفة (التعاضد الحجاجي) مع قوله: "وقوم إبراهيم وقوم لوط"، فالجمع بالواو بين أقوام الأنبياء المذكورة في هذه الآية، يضيف حجة جديدة إلى ما سبق، فكثرة الأمثلة يعزز المصداقية، ويقوي الحجة.

ثم ينتقل بالواو إلى ذكر أمة جديدة وهي "أصحاب مدين" فيتواصل حشد الأدلة، ويزداد التوكيد على شمولية قضية "التكذيب".

ثم يحدث (التكثيف الحجاجي) بذكر "كُذِّب موسى" بعد "أصحاب مدين" بواسطة الواو، حيث إنه يعمق الحجة، فموسى نبي عظيم أوتي من الآيات ما لم يؤت غيره، ومع كل ذلك كُذِّب، وهذا يقطع بأن تكذيب قريش للنبي صلى الله عليه وسلم، لا ينقص الرسالة، ولا يطعن في صحتها، بل هو استمرار لسنة قديمة.

وبهذا يلاحظ أن الواو في هذه الآيات، اتسمت بخصائص حجاجية: التراكم، التعاضد، التكثيف، الإقناع بالتاريخ.

الموضع الثاني: ويتمثل في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ ﴾ (النساء: ١١٣).

والمعنى: ولولا عصمة الله لك، لكان في الناس من يشتغل بإضلالك ويجعله هم نفسه[1]، والمراد بالفضل والرحمة هنا نعمة إنزال الكتاب تفصيلا

(١) ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز، ج٢، ص ١١٢ – أبو حيان، تفسير البحر المحيط، ج ٣، ص ٣٦٢.

لوجوه الحق في الحكم، وعصمته من الوقوع في الخطأ فيه[1]، والمراد بالطائفة بنو ظفر، وقيل اليهود[2].

الواو في "ولولا" عطف على قوله تعالى: "ولا تكن للخائنين خصيما" (النساء: ١٠٥)[3]، وهو رابط حجاجي تمهيدي، حيث ربطت هذه الجملة بما قبلها؛ لتؤسس نتيجة منطقية، وهي: أن النجاة من مكر هؤلاء ليس بقدرة بشرية، بل بفضل الله ولطفه.

ولبقية الواوات في الآية بعد حجاجي على النحو التالي:

قوله: ﴿ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۖ ﴾، انتقال حجاجي من لطف الله ورحمته على نبيه إلى قلب القضية عليهم أنفسهم.

قوله: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ ﴾، تراكم حجاجي ، فإنه لم يكتف بنفي الضرر، بل أثبت الإنعام عليه بإنزال الكتاب والحكمة.

قوله: ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ ﴾، تكثيف حجاجي، هذا بيان أن الفضل لم يقتصر على الحماية، بل تعدى إلى التعليم الإلهي؛ فيصبح الدليل على العناية أرسخ.

قوله: ﴿ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ﴾، خاتمة حجاجية جامعة، ربطت هذه الجملة بالمسار السابق؛ لتكون تلخيصا للحجة: كل ما ذكر هو من مظاهر فضل الله، وفضله عظيم.

فالآية بفضل الواوات جاءت على شكل سلسلة حجاجية متنامية، تثبت أن حماية الرسول ورعايته من الله وحده، وأن ذلك فضل عظيم، لا يترك مجالا للشك.

---

(١) ينظر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج ٥، ص ١٩٧.

(٢) ينظر الزمخشري، الكشاف، ج ١، ص ٤٨٩.

(٣) ينظر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج ٥، ص ١٩٦.

المبحث الثاني: العوامل الحجاجية

وهي "ما يكون داخل القول الواحد من عناصر تدخل على الإسناد مثل: الحصر، والنفي، أو مكونات معجمية تحيل في الغالب إحالة غير مباشرة، مثل: منذ الظرفية، وتقريبا، وعلى الأقل، ..."[١]، أي أن العامل الحجاجي مكون يتعلق بمجموع الجملة، فيقيدها بعد أن يتم الإسناد فيها، كالنفي، والاستثناء المفرغ، والشرط والجزاء، وما إلى ذلك مما يغير قوة الجملة دون محتواها الخبري[٢].

ويشير العزاوي إلى أن العوامل الحجاجية " لا تربط بين متغيرات حجاجية (أي بين حجة ونتيجة أو بين مجموعة حجج)، ولكنها تقوم بحصر وتقييد الإمكانات التي تكون لقول ما، وتضم مقولة العوامل أدوات من قبيل: ربما، تقريبا، كاد، قليلا، كثيرا، ما... إلا، وجل أدوات القصر"[٣].

فإن كان الحجاج عند ديكرو وأنسكومبر قائما على التوجيه، فإن العامل الحجاجي من شأنه أن يقوي درجة هذا التوجيه في الخطاب، فقولنا مثلا: "السيارة جاهزة" توجيه من قبيل "لنخرج للنزهة" ، وهذا التوجيه يكون أوكد وألحّ حين ندخل على الجملة عاملا حجاجيا، مثل: "إنما" فنقول: إنما السيارة جاهزة[٤].

ولذلك يرى ديكرو أن القيمة الحجاجية للملفوظ ليست نتيجة لمداه الإبلاغي، لكن الجملة تكون حاملة لصرافم، أو تعابير، أو موجهات، إضافة إلى محتواها الإبلاغي، تصلح لإعطاء وجهة حجاجية للملفوظ تجعل المتقبل في اتجاه من الاتجاهات[٥]، أي أن القيمة الحجاجية لقول ما ترتبط بالنتيجة التي

---

(١) المبخوت، شكري، نظرية الحجاج في اللغة، ص ٣٧٧.

(٢) السابق، ص ٣٧٧.

(٣) ينظر العزاوي، أبوبكر، اللغة والحجاج، ص ٢٧.

(٤) ينظر الناجح، عز الدين، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص ٣٢.

(٥) ينظر السابق، ص ٣٢.

يمكن أن يؤدي إليها، ولا ترتبط بتاتا بالمعلومات التي يتضمنها[١].

وعلاوة على ذلك فإن كثيرا من الباحثين يرجعون تناسق الخطاب، وترابطه، وتكامل بنيته إلى العوامل الحجاجية؛ لأنها تساعد على اكتشاف وجهته الحجاجية[٢].

ويرى قلقليون أن العامل الحجاجي هو العماد في عملية التواصل، وأن العوامل تمثل محركا رئيسا من ضمن المحركات التي تقوم عليها عملية التخاطب، وينظر إلى العوامل بوصفها عناصر لغوية تنتظمها غاية واحدة، وهي تحقيق الخطاب للإقناع في عملية التواصل[٣].

ويشير العزاوي إلى أن الروابط والعوامل الحجاجية هي المؤشر والأساس البارز، وهو الدليل القاطع على أن الحجاج مؤشر له في بنية اللغة نفسها[٤].

١ – النفي

النفي من أبرز الوسائل الحجاجية اللغوية المستخدمة في الإقناع وتوجيه الخطاب[٥]، وعاملية النفي الحجاجية، لا يمكن إدراكها إلا بإدراك النتيجة التي يريد الباث توجيه جمهوره إليها[٦].

---

(١) ينظر العزاوي، أبو بكر، اللغة والحجاج، ص ٢٦.

(٢) ينظر الناجح، عز الدين، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص ٣٣.

(٣) ينظر: الناجح، عز الدين، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص ١٧، ٢١. وهناك بعض الباحثين مزجزوا بين الروابط والعوامل، ودرسوهما تحت العوامل الحجاجية كما عند قلقليون وكارون (ينظر الناجح، عز الدين، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص ٢١، ٢٤ – صلاح الدين، إسلام، الخطاب الحجاجي آلياته وظائفه في مقالات نبيل عبد الفتاح، سلسلة كتابات نقدية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ط ١، ٢٠٢٢م، ص ٤٧).

(٤) ينظر العزاوي، أبو بكر، اللغة والحجاج، ص ٥٥.

(٥) ينظر الشهري، إستراتيجيات الخطاب، ص ٤٨٥، ٤٨٦.

(٦) ينظر الناجح، عز الدين، العوامل الحجاجية، ص ٥٠.

إذن النفي في التداولية والحجاج ليس مجرد إبطال، بل يحمل بعدا إقناعيا، وهو وسيلة لتوجيه المتلقي نحو موقف معين، وهو من أهم الأدوات التي تستخدم في بناء الخطاب المضاد.

ويشير ابن يعيش إلى أن النفي إكذاب للإيجاب، يقول: "اعلم أن النفي يكون حسب الإيجاب؛ لأنه إكذاب له، فينبغي أن يكون على وفق لفظه، لا فرق بينهما إلا أن أحدهما نفي، والآخر إيجاب"(١).

والنفي بوصفه عاملا حجاجيا، لا يراد به الجانب الإبلاغي للخبر المنفي، بل يراد به الجانب الحجاجي، ودوره في الإقناع، وتوجيه الخطاب نحو النتيجة المرادة.

وعاملية النفي الحجاجية واضحة في آيات نطاق الدراسة، حيث وُظِف النفي للوصول إلى النتيجة العامة للدراسة، وهي تفنيد قصة الغرانيق والرد على افتراءات المشركين، وإثبات صدق الرسالة، وأن الوحي من عند الله، وأنه لا ينبغي للنبي صلى الله عليه وسلم أن يأتي بشيء من عنده.

ومن النفي الوارد في آيات الدراسة، ما يأتي:

١ – قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ﴾ (النساء: ١١٣)، النفي فيه ليس مجرد إخبار بعدم وقوع الضرر، بل هو عامل حجاجي، يقوم على الإبطال والتوكيد؛ حيث يقطع الطريق أمام كل احتمال بوقوع الضرر، وبذلك ينتصر الخطاب القرآني لحجته عبر أداة النفي المعززة بالاستغراق.

فدخول "من" الزائدة على "شيء" يفيد عموم النفي واستغراقه وتأكيده(٢)، أي: لا يستطيعون إلحاق أي ضرر بك قليلا كان أو كثيرا.

والنفي بوصفه عاملا حجاجيا في هذا السياق أفاد ما يأتي:

---

(١) ابن يعيش، شرح المفصل، ج٨، ص ١٠٧.

(٢) ينظر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج ٥، ص ١٩٧.

- الإبطال: النفي ينسف دعوى القدرة على الإضرار، فيسقط أساس الحجة المقابلة.
- التطمين: بصفته خطابا موجها إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فهو تطمين له وتسلية.
- العلاقة بالمعطى الحجاجي السابق: حيث ورد قبل النفي قوله تعالى: "وما يضلون إلا أنفسهم"، وجاء النفي الثاني "وما يضرونك من شيء" متمما ومؤكدا؛ ليرسخ أن دائرة فعلهم محصورة على أنفسهم، والنبي صلى الله عليه وسلم محصن من آثارهم.

٢- قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِ نَفْسِيٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ۖ﴾ (يونس: ١٥) هذا النفي جواب على قول المشركين: ﴿ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ﴾، يقول ابن عاشور: "وقد جاء الجواب بأبلغ صيغ النفي "ما يكون لي أن أبدله"، أي: ما يكون التبديل ملكا لي"[١]، والمعنى عند الزمخشري "ما ينبغي لي"[٢].

وجملة "إن أتبع إلا ما يوحى إلي" تعليل لجملة "ما يكون لي أن أبدله"، أي: ما أتبع إلا ما يوحى إلي، وليس لي تصرف بتغيير[٣].

فالنفي هنا عامل حجاجي؛ لأنه لم يستخدم لإبطال طلب اليهود واقتراحهم فحسب، بل لتأسيس خطاب مضاد، بيّن فيه أنه لا ينبغي له ذلك؛ لأنه يتبع ما يوحى إليه، مما يعزز الفكرة الرئيسة، وهي أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يأتي بشيء من عنده، ولكنه يوحى إليه، وبهذا فهو يهدم مطلب المشركين، ويثبت أن قصة الغرانيق محض افتراء، فالنبي صلى الله عليه وسلم لا يغير ولا يبدل ولا يضيف، ولا يحذف شيئا مما أُوحي إليه.

---

(١) السابق، ج ١١، ص ١١٨.

(٢) الزمخشري، الكشاف، ج ٢، ص ٣٥٢.

(٣) ينظر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج ١١، ص ١١٨.

أي أن عاملية النفي الحجاجية تتلخص في الخطوات الآتية: إبطال الاقتراح، ثم التأكيد على مصدرة الوحي إليها، ثم نفي الاستقلالية؛ لإثبات التبعية للوحي.

فإثبات التبعية للوحي، يقنع المتلقي أن التبديل والتغيير محال في حق النبي –صلى الله عليه وسلم.

٣– قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ٤١ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ٤٢ ﴾ (فصلت: ٤١، ٤٢)، أي أن الباطل لا يتطرق إليه، ولا يجد إليه سبيلا من جهة من الجهات؛ لأنه منزل من رب العالمين[١]، وقال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب أن يقال: معناه: لا يستطيع ذو باطل تغييره بكيده، وتبديل شيء من معانيه عما هو به، وذلك هو الإتيان من بين يديه، ولا إلحاق ما ليس منه فيه، وذلك إتيانه من خلفه"[٢].

وأشار ابن عاشور إلى أن المراد بقوله: "لا يأتيه الباطل": أنه لا يوجد فيه ولا بداخله، وليس المراد أنه لا يُدَّعي عليه الباطل[٣]، فقد أُدعي عليه الباطل، ولكن الله قد تكفل بحمايته " بأن قيض قوما عارضوهم بإبطال تأويلهم، وإفساد أقاويلهم، فلم يُخَلُّوا طعن طاعن إلا ممحوقا، ولا قول مبطل إلا مضمحلا"[٤].

---

(١) ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج ٤، ص ١١٦ – ابن كثير، تفسير ابن كثير، ج ١٢، ص ٢٤٦.

(٢) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (٣١٠هـ)، تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل القرآن)، ت: محمود محمد شاكر، أحمد محمد شاكر، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط ٢، بدون تاريخ، ج ٢١، ص ٤٨٠– وينظر أبو حيان، تفسير البحر المحيط، ج ٧، ص ٤٨٩.

(٣) ينظر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج ٢٤، ص ٣٠٩.

(٤) ينظر الزمخشري، الكشاف، ج ٤، ص ١١٦.

وقوله: "لا يأتيه الباطل" قيل: هو خبر إن، والعائد محذوف، تقديره: لا يأتيه الباطل منهم، وقيل: هي صفة لكتاب[1].

وتتمثل عاملية النفي الحجاجية في هذه الآية فيما يأتي:

١ – التأكيد على أن القرآن الكريم محفوظ، ولا يطوله الباطل بأي شكل من الأشكال.

٢ – لم تقتصر الآية على مجرد النفي، بل تضمنت تعليلا له وهو قوله: "تنزيل من رب العالمين".

٣– ومما يقوي الحجة وقوع الجملة المنفية صفة للكتاب، أو خبرا لإنّ التي تفيد التأكيد.

٤ – وكل هذا يتضافر مع الحجج التي تفند قصة الغرانيق، التي زعمت بأن النبي صلى الله عليه وسلم مدح آلهة الكفار.

٤– قوله تعالى: ﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ﴾ (النجم: ١ – ٣).

قوله تعالى: "ما ضل صاحبكم" نفي وهو جواب القسم، ثم عُطف عليه نفيان آخران: قوله: "ما غوى"، وقوله: "ما ينطق ..."، يقول الزمخشري: "ما ضل صاحبكم، يعنى به محمد صلى الله عليه وسلم، والخطاب لقريش، وهو جواب قسم"[2].

ويقول الفراء في قوله تعالى: "وما ينطق عن الهوى": "ما يقول هذا القرآن برأيه، إنما هو وحي، وذلك أن قريشا قالوا: إنما يقول القرآن من تلقائه؛ فنزل

---

(١) ينظر: أبو حيان، تفسير البحر المحيط، ج ٧، ص ٤٨٩– السمين الحلبي، الدر المصون، ج ٩، ص ٥٢٩، ٥٣٠.

(٢) الزمخشري، الكشاف، ج ٤، ص ٢٩٧– وينظر: القرطبي، تفسير القرطبي، ج ٢٠، ص ٩، ١٠.

تكذيبهم"[1]، ويشير ابن عاشور إلى أن هذه الآية وصف كمال لذاته صلى الله عليه وسلم[2].

احتوت هذه الآيات (النجم:١-٣) على قسم وجوابه، وعطف على الجواب، ثم جاء أسلوب قصر، وهو قوله: "إن هو إلا وحي يوحى" (النجم: ٤) يؤكد مضمون ما تقدمه من آيات.

فالعامل الحجاجي للنفي في هذه الآيات يتمثل في أنه ليس نفيا عابرا، ولكنه نفي جاء جوابا لقسم، ثم عطف عليه نفي آخر يؤكد مضمون النفي الأول (تراكم حجاجي) ثم أكد مرة أخرى بأسلوب قصر، وكل هذا يسير في اتجاه حجاجي واحد نحو الوصول إلى النتيجة المرادة.

وعلاوة على ذلك، فالأفعال المستعملة، في هذا النفي المتعدد كلها من حقل دلالي واحد: ضلّ، غوى، وكذلك كلمة (الهوى)، فالضلال نقيض الهدى، والغي نقيض الرشد[3]، والهوى: هو ميل النفس إلى ما تحبه، أو تحب أن تفعله دون أن يقتضيه العقل السليم الحكيم[4].

٢ - القصر

للقصر طرق كثيرة، ومن أشهرها القصر بـ (النفي والاستثناء)، و(إنما)، والأصل في القصر بالنفي والاستثناء أن "يكون لأمر ينكره المخاطب، ويشك فيه"[5]، أما (إنما) فالأصل فيها "أن تجيء لخبر لا يجهله المخاطب، ولا يدفع

---

(١) الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد (٢٠٧هـ)، معاني القرآن، ت: أحمد يوسف نجاتي، محمد علي النجار، الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية، مركز تحقيق التراث، القاهرة، ط ٣، ٢٠٠١م، ج ٣، ص ٩٥.

(٢) ينظر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج ٢٧، ص ٩٣.

(٣) ينظر الزمخشري، الكشاف، ج ٤، ص ٢٩٧.

(٤) ينظر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج ٢٧، ص ٩٣.

(٥) الجرجاني، عبد القاهر (٤٧٤هـ)، دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، الهيئة المصرية العامة للكتاب (سلسلة مكتبة الأسرة)، ٢٠٠٠م، ص ٣٣٢ - وينظر

صحته، أو لما ينزل هذه المنزلة"[1].

و(إنما) تفيد في الكلام بعدها إيجاب الفعل لشيء ونفيه عن غيره، فإذا قلت: إنما جاءني زيد، عُقل منها أنك أردت أن تنفي أن يكون الجائي غيره، ولها مزية في هذه الدلالة، حيث يُعقل منها إثبات الفعل لشيء ونفيه عن غيره دفعة واحدة[2]، والسبب في إفادة (إنما) معنى القصر هو تضمينه معنى (ما...إلا)[3].

ويشير ابن عطية إلى أن "إِنَّمَا لفظ لا تفارقه المبالغة والتأكيد حيث وقع، ويصلح مع ذلك للحصر"[4]، والحصر هو المعنى المشهور لـ (إنما) عند النحاة[5]، ويقولون: "إنما لإثبات ما يذكر بعدها ونفي ما سواه"[6].

ورد القصر بـ (النفي وإلا) في أربعة مواضع، و بـ (إنما) في موضع واحد.

أولا: إنما

ورد القصر بها في قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾

الزركشي، بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله (٧٩٤هـ)، البرهان في علوم القرآن، ت: أبي الفضل الدمياطي، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص١٠٦٤.

(١) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص ٣٣٠- وينظر المراغي، أحمد، علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٩٨٦م، ص ١٥٤.

(٢) ينظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص ٣٣٥- القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن (٧٣٩هـ)، الإيضاح في علوم البلاغة، ت: عبد القادر حسين، مكتبة الآداب، القاهرة، ط ١، ١٩٩٦م، ص ١٥٧.

(٣) ينظر: السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي (٦٢٦هـ)، مفتاح العلوم، ت: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٠م، ص٤٠٢ – القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص ١٥٣.

(٤) ينظر ابن عطية، المحرر الوجيز، ج ٢، ص ٥٠٠.

(٥) ينظر: المالقي، رصف المباني، ص ١٢٤- المرادي، الجنى الداني، ص ٣٩٥، ٣٩٦.

(٦) القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص ١٥٣- وينظر السبكي، بهاء الدين أبو حامد أحمد بن تقي الدين (٧٧٣هـ)، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، ت: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٣م، ص ٤٠٣.

(الحج: ٤٩).

يراد بالناس: أهل مكة[١]، والمعنى: "قل يا محمد "إنما أنا لكم نذير" عذاب، ليس إليّ أن أعجل عذابا ولا أؤخره، عن وقته"[٢]، ويقول الآلوسي: "ظاهر السياق يقتضي أن المراد بالناس المشركون، فإن الحديث مسوق لهم، فكأنه قيل: قل يأيها المشركون المستعجلون بالعذاب، إنما أنا منذر لكم إنزارا بينًا بما أوحي إلي من أنباء الأمم المهلكة، من غير أن يكون لي دخل في إتيان ما تستعجلون من العذاب الموعود؛ حتى تستعجلوني به، فوجه الاقتصار على الإنذار ظاهر"[٣].

أما (إنما) بوصفها عاملا حجاجيا تخرج الجملة من مجرد الإبلاغ والوصف إلى الوظيفة الحجاجية، حيث تكون موجهة للخطاب نحو نتيجة بعينها[٤]، فقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴾ بوجود (إنما)، لا يستوي مع عدم وجودها، فوجودها يضيف على الجانب الإبلاغي ما يأتي:

١ – حصر وظيفة الرسول صلى الله عليه وسلم في وظيفة الإنذار، وليس له سبيل في استعجال العذاب أو تأخيره.

٢ – المبالغة والتأكيد لما تضمنته الجملة من معنى إبلاغي.

٣ – القصر بها يقوي الحجة، من خلال تضييق دائرة المعنى، وحصرها في مجال محدد، بما يزيل أي التباس أو ادعاء مخالف.

٤ – ويستلزم منها أن النبي صلى الله عليه وسلم يتبع ما يوحى إليه، ولا يأتي بشيء من تلقاء نفسه.

ثانيا: النفي وإلا

---

(١) ينظر القرطبي، تفسير القرطبي، ج ١٤، ص ٤٢١.

(٢) ابن عطية، المحرر الوجيز، ج ٤، ص ١٢٨.

(٣) الآلوسي، روح المعاني، ج ١٧، ص ١٧١.

(٤) ينظر الناجح، عز الدين، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص ٥٦، ٦١.

ومن القصر بـ (النفي وإلا) الوارد في آيات نطاق الدراسة ما يأتي:

١ – قوله تعالى: ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ (يونس: ١٥).

اقتضت إنْ النافية وأداة الاستثناء قصر تعلق الاتباع على ما أوحى الله، وهو قصر إضافي، أي لا أتبع إلا ما أُوحي إلي، دون أن يكون المتَّبَع شيئا مخترعا، حتى أتصرف فيه بالتغيير والتبديل(١).

يشير الباحثون إلى أن القصر بطريق النفي والاستثناء عامل حجاجي" يوجه القول وجهة واحدة نحو الانخفاض"(٢)، أي أن الصيغة تدفع السامع إلى تضييق دائرة الاحتمالات، حتى لا يبقى إلا خيار واحد.

فعاملية القصر هنا تتضح مما يأتي:

١ – نفي كل الأوجه والاحتمالات، وقصر الاتباع على الوحي فقط، والاتباع "مجاز في عدم التصرف"(٣).

٢ – وكذلك أفاد القصر التأكيد والتشديد على أنه صلى الله عليه وسلم متبع للوحي، ولا ينبغي له التغيير والتبديل في القرآن الكريم.

٣ – وقويت الحجة في هذا السياق بكثرة التعليلات المرتبطة بالجملة المتضمنة للقصر، فجملة: "إن أتبع ما يوحى إلي" تعليل لجملة: "ما يكون لي أن أبدله"، وجملة: "إني أخاف إن عصيت ربي" في موقع التعليل لجملة: "إن أتبع إلا ما يوحى إلي"(٤).

٢ – قوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ (النجم: ٤).

---

(١) ينظر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج ١١، ص ١١٩.

(٢) الشهري، آليات الحجاج وأدواته، كتاب مجمع (الحجاج مفهومه ومجالاته، الجزء الأول: الحجاج حدود وتعريفات)، ص ١١١.

(٣) ينظر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج ١١، ص ١١٩.

(٤) ينظر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج ١١، ص ١١٨، ١١٩.

يقول الزجاج: "إنْ بمعنى ما، المعنى: ما هو إلا وحي"[١]، وقوله: "إن هو" أي: إن الذي ينطق به، أو القرآن[٢]، وهذه الجملة: "إن هو إلا وحي يوحى" استئناف بياني لجملة: "وما ينطق عن الهوى"[٣].

وقوله: "يوحى" صفة لـ "وحي"، وفائدة المجيء بهذا الوصف أنه ينفي المجاز، أي: هو وحي حقيقة، لا مجرد تسمية[٤].

فمن مظاهر عاملية القصر الحجاجية هنا ما يأتي:

١ – القصر هنا يبطل كل مزاعم المشركين في القرآن الكريم، ويثبت أنه وحي من الله تعالى.

٢ – قويت الحجة بتوكيد جملة القصر بجملة "يوحى" التي دلت على أنه وحي حقيقي لا مجازي، علاوة على أن القصر ذاته أفاد التوكيد.

٣ – والقصر هنا جعل الخطاب مغلقا حجاجيا، ولا يسمح للمخاطب بالمراوغة.

فالقصر بنوعيه: (إنما) و(النفي والاستثناء) عامل حجاجي مؤثر في تفنيد قصة الغرانيق.

٣ – الشرط وجوابه

يُعد الشرط آلية حجاجية فاعلة؛ لأنه يربط الملفوظ بشرط سابق يحدد مساره في الخطاب، فهو لا يقتصر على علاقة الربط النحوية فحسب، بل يوجّه المتلقي نحو استنتاج معيَّن، جاعلًا العلاقة بين الشرط والجزاء وسيلة لتقوية الحجة وإبراز إلزاميتها.

---

(١) الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري (٣١١هـ)، معاني القرآن وإعرابه، ت: عبد الجليل عبده شلبي، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٣م، ج ٥، ص ٥٧.

(٢) ينظر السمين الحلبي، الدر المصون، ج ١٠، ص ٨٤.

(٣) ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج ٢٧، ص ٩٤.

(٤) ينظر السمين الحلبي، الدر المصون، ج ١٠، ص ٨٤.

ومن الشرط الوارد في آيات الدراسة، ويوجه الحجاج نحو النتيجة المرادة بشكل واضح، قوله تعالى: ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴾ (الحج: ٤٢).

جاءت هذه الآية في مقدمة آيات سورة الحج التي ذكرت في مبحث التناص، وتحدثت عن تكذيب الأمم لأنبيائهم ومصيرهم بسبب تكذيبهم، وذهب المفسرون إلى أن هذه الآية وردت تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم؛ مما رآه من أذي وتكذيب من قِبل قومه(١)، والشرط وجوابه في هذه الآية يحمل بعدا حجاجيا ملحوظا، على النحو الآتي:

١ – تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم.

٢ – رسالة اطمئنان لقلب النبي صلى الله عليه وسلم، أن ما حدث معه من تكذيب ليس بدعا، ولكنه سنة موجودة في الأنبياء السابقين.

٣ – الآية وعيد لقريش إذ مثلهم بالأمم المكذبة المعذبة(٢).

٤ – تتضمن الآية الوعد الكريم بإهلاك من يعاديه من الكفرة(٣).

٥ – تحث النبي صلى الله عليه وسلم بالصبر، أي "كان هناك قبلك أنبياء كُذِّبوا فصبروا إلى أن أهلك الله المكذبين"(٤).

٤ – كاد

كاد فعل من أفعال المقاربة، "وضع لدنو حصول الخبر"(٥)، يقول الرازي:

---

(١) ينظر: القرطبي، تفسير القرطبي، ج ١٤، ص ٤١٤ – أبو حيان، تفسير البحر المحيط، ج ٦، ٣٤٨– ابن عادل الدمشقي، اللباب في علوم الكتاب، ج ١٤، ص ١٠٧ – أبو السعود، تفسير أبي السعود، ج ٦، ص ١١٠.

(٢) ينظر أبو حيان، تفسير البحر المحيط، ج ٦، ٣٤٨.

(٣) ينظر أبو السعود، تفسير أبي السعود، ج ٦، ص ١١٠.

(٤) ينظر القرطبي، تفسير القرطبي، ج ١٤، ص ٤١٤.

(٥) الرضي، شرح الرضي على كافية ابن الحاجب، ج ٥، ص ٢٣٦.

"وكلمة كاد عند بعضهم معناه: قرب أن يكون الأمر كذلك، مع أنه لم يحصل"[1]، وروي عن ابن عباس أنه قال: كل ما في القرآن (كاد) فهو ما لا يكون أبدا[2]، فـ (كاد) عامل حجاجي، قيمته الحجاجية هي في الواقع عكس قيمتها الإخبارية، أي بينهما علاقة تناقض أو تعارض[3]، أي أن (كاد) يتضمن النفي الضمني، أي: الشيء لم يقع.

ورد الفعل كاد في آيات نطاق الدراسة في قوله تعالى: ﴿ وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ ﴾ (الإسراء: ٧٣، ٧٤).

فـ (كاد) في هاتين الآيتين عامل حجاجي قوي يفند قصة الغرانيق، فهي تدل على أن مقاربة الركون لم تقع فضلا عن الركون، والمانع من ذلك وجود تثبيت الله[4].

إذن هاتان الآيتان تردان الخبر الذي رواه المشركون، بأن النبي صلى الله عليه وسلم ركن إليهم، ومدح آلهتهم،[5].

و(كاد) حجاجيا تظهر أن محاولة الإيقاع بالنبي كانت قوية، لكن العناية الإلهية حالت دون ذلك.

ففي هاتين الآيتين عوامل حجاجية عديدة تضافرت لإثبات أن الركون لم يقع، فضلا عما يدعيه المشركون، يقول ابن عاشور: فركون النبي صلى الله

---

(١) الرازي، تفسير الرازي، ج ٢٣، ص ٥١.

(٢) ينظر اليحصبي، القاضي عياض بن موسى (٥٤٤هـ)، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ت: عبده علي كوشك، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، وحدة البحوث والدراسات، ط ١، ٢٠١٣م، ص ٦٤٩.

(٣) ينظر العزاوي، أبوبكر، اللغة والحجاج، ص ٤٧.

(٤) ينظر أبو حيان، تفسير البحر المحيط، ج ٦، ص ٦٢.

(٥) ينظر اليحصبي، القاضي عياض، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ص ٦٤٨.

عليه وسلم إليهم غير واقع ولا مقارب الوقوع؛ لأن الآية نفته بأربعة أمور:[1]

١ – لولا الامتناعية ٢ – فعل المقاربة.

٣ – التحقير المستفاد من (شيئا) ٤ – التقليل المستفاد من (قليلا).

وتجدر الإشارة في هذا السياق أن (قليلا) تعد عاملا حجاجيا مستقلا[2]، فهو صلى الله عليه وسلم لم يركن إليهم شيئا قليلا، فكيف كثيرا؟[3].

وهنا أيضا تكثيف حجاجي بتنكير (شيئا)؛ لأنه يفيد التقليل، فكان تهيئة لتوكيد معنى التقليل، فإن كلمة (شيء) لتوغلها في إبهام جنس ما تضاف إليه، أو جنس الموجود مطلقا مفيدة للتقليل غالبا، كقوله تعالى: "فلا تأخذوا منه شيئا" (النساء: ٢٠)[4].

المبحث الثالث: بعض المؤشرات الأخرى

أن المؤشرات الحجاجية لا تقتصر على الروابط والعوامل فحسب، ولكنها تتمثل في كثير من الظواهر التي أثر في عملية الإقناع وتقوية الحجة، كالمعجم، ودلالات الصيغ الصرفية، والتوكيد، والاستعارة، ...إلخ[5].

١– المعجم

من المعلوم أنه قد يتعدد المعنى المعجمي للفظة الواحدة في السياقات المختلفة، ولكن إذا استعملت اللفظة مفردًة خارج السياق، فغالبا ما ينصرف

---

(١) ينظر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج ١٥، ص ١٧٦.

(٢) ينظر العزاوي، أبوبكر، اللغة والحجاج، ص ٢٧.

(٣) ينظر اليحصبي، القاضي عياض، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ص ٦٤٨.

(٤) ينظر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج ١٥، ص ١٧٥.

(٥) ينظر العزاوي، أبو بكر، الخطاب والحجاج، كتاب مجمع (الحجاج مفهومه ومجالاته، الجزء الأول: الحجاج حدود وتعريفات)، إعداد: حافظ إسماعيل علوي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط ١، ٢٠١٠م، ص ١٨.

الذهن إلى معنى محدد هو ألصق بها، ولا تدل على غيره إلا بمعونة السياق.

فاختيار معنى محدد من بين المعاني المحتملة للمفردة تؤيده القرائن ويؤكده السياق، يعد حجة تتضافر مع الحجج الأخرى؛ للوصول إلى النتيجة المرادة، فالمظاهر الحجاجية "لا تتمثل في الروابط والعوامل الحجاجية فقط، فهي تتمثل في كثير من الظواهر الصرفية والتركيبية والمعجمية والدلالية"(١).

فتحديد معنى" تمنى" في آية الحج حجة أساسية في تكذيب قصة الغرانيق، جاء في كتب اللغة وكتب التفسير عدة معان لـ "تمنى" و"الأمنية"، وأشهرهما معنيان، وبهما فسرت آية الحج، أحدهما تمنِّي القلب، والآخر القراءة.

يقول الفراء: "التمني: التلاوة، وحديث النفس أيضا"(٢)، ويقول النحاس: "وحكى الكسائي والفراء جميعا تمنى: إذا حدث نفسه، وهذا هو المعروف في اللغة، وقد حكيا أيضا تمنى إذا تلا"(٣).

وعند الأصفهاني التمني: "تقدير شيء في النفس وتصويره فيها، وذلك قد يكون عن تخمين وظن، ويكون عن روية وبناء على أصل ... والأمنية الصورة الحاصلة في النفس من تمني الشيء"(٤)، ثم أشار بعدها أيضا إلى أن قوله تعالى في آية سورة الحج "ألقى الشيطان في أمنيته" أي: في تلاوته(٥).

ويشير الزمخشري إلى تفسير تمنى بـ (قرأ) بالبناء للمجهول، قال: "وقيل:

---

(١) العزاوي، أبوبكر، الخطاب والحجاج، ص ١٨.

(٢) الفراء، معاني القرآن، ، ج ٢ ص ٢٢٩.

(٣) النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل (٣٢٨هـ)، إعراب القرآن، ت: محمد تامر، محمد رضوان، محمد عبد المنعم، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٧م، ج ٢، ص ٢٣٣.

(٤) الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (٥٠٢هـ)، المفردات في غريب القرآن، ت. محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، ص ٤٧٥، ٤٧٦.

(٥) ينظر السابق، ص ٤٧٦.

تمنى قرأ ... وأمنيته قراءته"[١].

وورد في تفسير البغوي لقوله تعالى: "إلا إذا تمنى": "قال بعضهم: أي: أحبّ شيئا واشتهاه وحدّث به نفسه ما لم يؤمر به، "وألقى الشيطان في أمنيته"، أي: مراده ....وأكثر المفسرين قالوا: معنى قوله: "تمنى" أي: تلا وقرأ كتاب الله تعالى، "ألقى الشيطان في أمنيته" أي في تلاوته"[٢].

وكذلك ابن عطية يقول: "و"تمنى" معناه المشهور أراد وأحب، وقالت فرقة: هو معناه في الآية، وقالت فرقة: "تمنى" معناه تلا، والأمنية التلاوة، ... وتأولوا قوله تعالى: "إلا أماني"، أي: إلا تلاوة"[٣].

وهكذا نجد هذين المعنين في كثير من كتب التفسير، فمنهم من يذكر المعنيين بلا ترجيح، ومنهم من يرجح أحد المعنيين[٤]، ونجدهما أيضا عند ابن منظور والفيروزابادي وإن كان قد بدأا الكلام بالمعنى الأول، وهو الإرادة وحديث النفس[٥].

أما ابن عاشور فيشير إلى أن التمني "كلمة مشهورة، وحقيقتها: طلب الشيء العسير حصوله ... والأمنية: الشيء المتمنى"[٦]، ثم يشير إلى الرأي

---

(١) الزمخشري، الكشاف، ج ٣، ص ٢٣٢.

(٢) البغوي، تفسير البغوي، ج ٥، ص ٣٩٣، ٣٩٤.

(٣) ابن عطية، المحرر الوجيز، ج ٤، ص ١٢٨.

(٤) ينظر: الرازي (٦٠٤هـ)، تفسير الرازي، ج ٢٣، ص ٢٣ – (أبو حيان)، تفسير البحر المحيط، ج ٦، ص ٣٥٣ – ابن كثير، تفسير ابن كثير، مجلد ١٠، ص ٨٦ – الشوكاني، الفتح القدير، ص ٩٦٩، ٩٧٠ – ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج ١٧، ص ٢٩٧ – ٢٩٩.

(٥) ينظر: ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (٧١١هـ) لسان العرب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٤م، مادة: مني، ج ٧، ص ١٣٩، ١٤٠ – الفيروزابادي، القاموس المحيط، ج٢، ص ١٧٥٠.

(٦) ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج ١٧، ص ٢٩٧.

الآخر ويعترض عليه، يقول: "وعندي في صحة إطلاق لفظ الأمنية على القراءة شك عظيم"[1]، ويرى أن تفسير تمنى بـ "تلا"، والأمنية بالقراءة تعسف، وهو ادعاء لا يوثق به، ولا يوجد له شاهد صريح من كلام العرب[2].

يلاحظ مما سبق أن المفسرين، وأصحاب المعاجم، وأصحاب كتب معاني ألفاظ القرآن، يذكرون معاني اللفظ المفرد مرتبة بحسب شهرتها، فالأشهر في معنى "تمنى" هو المعنى الأول وهو الإرادة وطلب الشيء العسير حصوله، ويؤيد هذا أيضا ما صرح به كل من ابن عطية وابن عاشور.

وأما في آية سورة الحج فيلاحظ أنه لا توجد قرينة للدلالة على غير المعنى الأشهر، وهو الإرادة وطلب الشيء العسير حصوله، ويعضد هذا المعنى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتمنى فعلا أن يستجيب له قومه، وكانت هذه الأمنية تعتمل في نفسه؛ حتى تسبب له الكثير من الضيق، بدليل الآيات الكريمة التالية: [3]

١ – قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ (البقرة: ٢٧٢).

٢ – قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ ﴾ (يونس: ٩٩).

٣ – قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ (النحل: ١٢٧).

---

(١) السابق، ج ١٧، ص ٢٩٩.

(٢) ينظر السابق، ج ١٧، ص ٣٠٦.

(٣) ينظر حسان، تمام، البيان في روائع القرآن، ج ٢، ص ٣٣٢، ٣٣٣. ويؤيد هذا أيضا ورود التمني بمعنى الرغبة في كثير من آيات القرآن الكريم، كما في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ﴾البقرة: ١١١، وقوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ ﴾ النساء: ١٢٣.

٤ – قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ ﴿٥٦﴾ ﴾ (القصص: ٥٦).

فالنبي صلى الله عليه وسلم كان يتمنى هداية قومه، وأن تلاقي دعوته قبولا في نفوسهم، كما كان جميع الأنبياء حرصين على إيمان قومهم، متمنيين لذلك، مثابرين عليه.

فتحديد معنى "تمنى" بالإرادة وطلب الشيء العسير حصوله، ينفي أن النبي صلى الله عليه وسلم نطق بما اتهم به في قصة الغرانيق: "كلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى".

وكذلك نجد أيضا استعمال كلمة (صاحبكم) في قوله تعالى: ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ﴾ (النجم: ٢)، يعين على دحض قصة الغرانيق، ويستلزم من استعمالها أن هذه القصة محض افتراء.

والمراد بالصاحب هنا: الذي له ملابسات وأحوال مع المضاف إليه، والمراد به: محمد صلى الله عليه وسلم، وإيثار التعبير عنه بوصف (صاحبكم) تعريض بأنهم أهل بهتان؛ إذ نسبوا إليه ما ليس منه في شيء، مع شدة اطلاعهم على أحواله وشؤونه؛ إذ هو بينهم في بلد لا تتعذر فيه إحاطة علم أهله بحال واحد معين مقصود من بينهم[1]، أي أنكم تعلمون صدقه، وأنه نبي مرسل، وأنه لا يتجرأ أن يتقوّل على الله.

٢ – دلالات بعض الصيغ الصرفية

من آليات الحجاج اللغوي ومن أدوات السلم الحجاجي الاختلاف في الصيغ الصرفية[2]، حيث إن اختلافها لا يُعد مجرد تنوع شكلي في بنية الكلمة، بل هو وسيلة حجاجية، تحمل أثرًا بالغًا في توجيه الخطاب، فاختيار صيغة دون غيرها

---

(١) ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج ٢٧، ص ٩٢.

(٢) الشهري، إستراتيجيات الخطاب، ص ٥٠٨.

يضفي على المعنى قوة أو ضعفًا، ويمنح المتكلم قدرة على ترسيخ الحجة وإقناع المخاطب، ومن ثمّ يكون البعد الصرفي عنصرًا فاعلًا في بناء النسق الحجاجي للنص العربي.

ومن الصيغ التي لها بعد حجاجي في آيات الدراسة ما يأتي:

١ – **صيغة (تفعَّل)** في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ **تَقَوَّلَ** عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴾ (الحاقة: ٤٤)، تقوَّل على وزن تفعَّل، ومصدره التقَوُّل، وهو "أن يقول الإنسان عن آخر أنه قال شيئا لم يقله"[١]، والتقوُّل افتعال القول؛ لأن فيه تكلفا من المُفتعِل[٢]؛ لأن الذي ينسب إلى غيره قولا لم يقله يتكلف ويختلق ذلك الكلام؛ ولكونه في معنى كذب عُدِّي بـ "على"[٣].

فبعدها الحجاجي يتمثل في دلالتها على التكلف، والمبالغة في الكذب والافتراء، وهنا إلزام للخصم بحجة عقلية، (لو وقع التقول لوقع العقاب)، وعدم وقوع العقاب دليل على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم.

٢ – **صيغة المضارع** في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ **فَيَنسَخُ** ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ **يُحْكِمُ** ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (الحج: ٥٢)، فالبعد الحجاجي للفعلين: ينسخ، ويحكم، يتمثل في الدلالة على الاستمرار التجددي[٤]، فكلما وقع الإلقاء من الشيطان ينسخه الله، أي: يبطله ويجعله ذاهبا غير ثابت "ثم يحكم الله آياته" أي: يأتي بها الله محكمة مثبتة، لا تقبل الرد بوجه من الوجوه[٥].

---

(١) ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز، ج ٥، ص ٣٦٢ – أبو حيان، تفسير البحر المحيط، ج ٨، ص ٣٣٢.

(٢) ينظر الزمخشري، الكشاف، ج ٤، ص٤٥٩.

(٣) ينظر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج ٢٩، ص ١٤٥.

(٤) ينظر الآلوسي، روح المعاني، ج ١٧، ص ١٧٣.

(٥) ينظر: الشوكاني، فتح القدير، ص ٩٧٠ – الآلوسي، روح المعاني، ج ١٧، ص

ومنه أيضا الفعل المضارع (يوحى) في قوله تعالى: ﴿ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ﴾ (النجم: ٤)، يدل على أن ما ينطق به محمد صلى الله عليه وسلم متجدد وحيه غير منقطع[١].

٣ – الوصف

يشمل الوصف عددا من الأدوات اللغوية منها: اسم الفاعل، واسم المفعول، وصيغة المبالغة، ويتمثل البعد الحجاجي للوصف في المعنى الذي تفيده الصيغة زيادة على معنى فعلها، وهو المعنى الذي يريده المخاطِب.

ومن الوصف الوارد في آيات الدراسة، صيغة المبالغة في قوله تعالى: ﴿ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾ (الحج: ٥٢)،

صيغ المبالغة هي: صيغ محولة من اسم الفاعل للدلالة على المبالغة والتكثير[٢]، أما اسم الفاعل فلا يدل على الكثير إلا بقرينة[٣].

فقوله: "حكيم عليم"، أي: "كثير العلم والحكمة في كل أقواله وأفعاله"[٤]، أي أنه "مبالغ في العلم بكل ما من شأنه أن يعلم، ومن جملته ما يصدر من الشيطان وأوليائه، حكيم في كل ما يفعل، ومن جملته تمكين الشيطان من إلقاء الشبه وأوليائه من المجادلة بها، وإبداؤه تعالى ردها"[٥].

.١٧٣

(١) ينظر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج ٢٧، ص ٩٥.

(٢) ينظر ابن هشام، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف (٧٦١هـ)، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، القاهرة، ٢٠٠٤م، ج ٣، ص ١٨٨.

(٣) ينظر حسن، عباس، النحو الوافي، ج ٣، ص ٢٣٩، ٢٥٧.

(٤) الشوكاني، فتح القدير، ص ٩٧٠.

(٥) الآلوسي، روح المعاني، ج ١٧، ص ١٧٣، ١٧٤.

فهاتان الصيغتان لا يقتصر معناهما على نسبة العلم والحكمة للمولى عزّ وجلّ، بل أفادتا المبالغة فيهما، فهو عليم بما يكون من الأمور والحوادث، ولا تخفى عليه خافية، حكيم في تقديره وخلقه وأمره، وله الحكمة التامة والحجة البالغة.

إذ الانتقال من صيغة إلى أخرى، بما يقتضيه هذا الانتقال من زيادة، إنما هو في الحقيقة انتقال من درجة إلى أخرى في السلم(١).

٣ – التوكيد

التوكيد مؤشر حجاجي مهم، له درجات متفاوتة، تختلف حسب السياق؛ ولذا فهو معتبر في السلم الحجاجي، وله طرق متعددة:

أولا: التوكيد بالتكرار

للتكرار صور مختلفة، فقد يكون بتكرار الألفاظ مع المضمون، وقد يكون بتكرار المضمون دون الألفاظ، وبشكل عام فإن التكرار يهدف إلى تثبيت الدعوى، أو تقرير المعطيات، ويزيد الفهم بجذب انتباه المتلقي وامتلاكه(٢).

فهو إسترتيجية حجاجية؛ لأنه لا يعيد القول عبثا، بل يوجه إدارك المتلقي إلى النتيجة المقصودة، فخلاصة التكرار بوصفه عاملا حجاجيا، فإنه يقوي الحجة بالتأكيد، ويزيد الأثر الإقناعي مما يلزم المخاطب بالقبول، وإثارة الانتباه والتركيز.

ويظهر التكرار بوصفه عاملا حجاجيا في آيات الدراسة، ولكنه لم يكن تكرارا لفظيا كاملا ، بل كررت بعض ألفاظ التراكيب مع الاحتفاظ على المعنى العام له، على النحو التالي:

– قوله تعالى: ﴿إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ﴾ (يونس: ١٥)، وقوله تعالى: ﴿إِنۡ هُوَ

---

(١) ينظر الناجح، عز الدين، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص ١٢٦.

(٢) ينظر العبد، محمد، النص الحجاجي العربي دراسة في وسائل الإقناع، عدد ٦٠، ص ٦٥.

﴿ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ﴾ (النجم: ٤)، فالتكرار في هاتين الآيتين يؤكد أن الوحي من عند الله، وأن النبي صلى الله عليه وسلم يتبع ما يوحى إليه، ولا ينبغي له أن يأتي بشيء من عنده، وهذا يتضافر مع الحجج التي تفند قصة الغرانيق.

– قوله تعالى:﴿ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ ﴾ (النساء: ١١٣)، والمراد بفضل الله عليه نعمة إنزال الكتاب، وتثبيته إياه بالعصمة، وقوله: ﴿ وَلَوۡلَآ أَن ثَبَّتۡنَٰكَ ﴾ (الإسراء: ٧٤)، وقوله: ﴿ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ ﴾ (الفرقان: ٣٢)، فكل هذه الآيات تؤكد على تثبيت الله للنبي صلى الله عليه وسلم، وأنه معصوم من الوقوع في الزلل، ومن الوقوع في شَرَك الكافرين، ومن مقاربة الركون إليهم.

– قوله تعالى: ﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا وَهِيَ ظَالِمَةٞ ﴾ (الحج: ٤٥)، وقوله تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ أَمۡلَيۡتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٞ ثُمَّ أَخَذۡتُهَا وَإِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ (الحج: ٤٨)، فالآيتان تأكيد على أن الله يأخذ القرى بسبب ظلمهم، أي: كفرهم، ولكن الفارق بين الآيتين أنه ذكر أولا القرى المهلكة دون إملاء، بل بعقب التكذيب، أما في الثانية فجاء الهلاك والعذاب بعد الإمهال؛ تنبيها على أن قريشا وإن أملى الله لهم، وأمهلهم، فإنه لابد من عذابهم، فلا يفرحوا بتأخير العذب عنهم(١).

ثانيا: التوكيد بالأداة

الخبر عند البلاغيين ثلاثة أضرب، تختلف باختلاف حال المخاطب: الابتدائي، الطلبي، الإنكاري، وقد ينزل أحدهما منزلة الآخر لغرض يقصده المخاطِب(٢)، ودرجة التوكيد تكون تبعا لحال المخاطب؛ ولذلك تعتبر درجات

---

(١) ينظر ابن عطية، المحرر الوجيز، ج ٤، ص١٢٧ – أبو حيان، تفسير البحر المحيط، ج ٦، ص٣٥١.

(٢) ينظر القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ٤٥، ٤٦ – السبكي، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، ج ١، ص ١٢٠.

التوكيد من أدوات السلم الحجاجي.

تعددت طرق التوكيد في آيات الدراسة على النحو التالي:

١ – التوكيد بأسلوب القصر

فالغاية من القصر تمكين الكلام وتقريره في الذهن، وقد يراد به المبالغة في المعنى[١]، وهو يعمل على تركيز المعنى وحصره في المقصور عليه، وكل هذا من أغراض التوكيد، وقد ورد القصر في أكثر من موضع، وقد سبقت الإشارة إليه بوصفه عاملا حجاجيا.

ومن مواضع وروده قوله تعالى: ﴿ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ ﴾ (يونس: ١٥)، ﴿ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ﴾ (النجم: ٤)، ﴿ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴾ (الحج: ٤٩)، ﴿ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡۖ ﴾ (النساء: ١١٣)، وكل هذه الآيات تؤكد حججا تتضافر مع حجج أخرى؛ للوصول إلى النتيجة النهائية وهي تفنيد قصة الغرانيق

٢ – التوكيد بـ (إنّ) مع أسلوب القصر

وورد هذا في قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴾ (الحج: ٤٦)، فالآية أكدت ذم المشركين بعمى البصيرة بمؤكدين: إن، وأسلوب القصر بـ (النفي وحرف الاستدراك)، ويقول ابن عاشور: "وحرف التوكيد في قوله: "فإنها لا تعمى الأبصار"؛ لغرابة الحكم، لا لأنه مما يشك فيه"[٢].

٣ – التوكيد بـ (إنّ واللام)

ورد التوكيد بهذه الطريقة في أكثر من موضع من آيات الدراسة، منها قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ ١٢١ ﴾ (الأنعام: ١٢١)، وقوله: ﴿ لِّيَجۡعَلَ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم

---

(١) ينظر الهاشمي، أحمد (١٢٦٢هـ)، جواهر البلاغة، ت: حسن نجار محمد، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠١٦م، هامش ص ١٥٧.

(٢) ينظر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج ١٧، ص ٢٨٩.

مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴾ (الحج: ٥٣) والمراد بالظالمين الفريقان المذكوران، و"الذين في قلوبهم مرض" هم المترددون في قبول الإيمان، و"القاسية قلوبهم" هم الكافرون المصممون على الكفر[١]؛ ولذا أكد الكلام بمؤكدين: إنَّ واللام.

وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴾ (فصلت: ٤١) أي منيع محمي بحماية الله تعالى[٢]، والكلام أكِّد بمؤكدين أيضا؛ لأنه يخاطب منكري القرآن من قريش، ومن تابعهم من الكفار غيرهم[٣].

المبحث الرابع: بعض الآليات الإقناعية

١ – الاستعارة

قسم بعض علماء الحجاج الاستعارة إلى نوعين: استعارة لغوية، واستعارة جمالية، ويطلق على النوع الأول: الاستعارة الحجاجية؛ وذلك لأن الاستعارة تدخل ضمن الوسائل اللغوية، التي يستغلها المتكلم بقصد توجيه خطابه، وبقصد تحقيق أهدافه الحجاجية[٤]، وتعد الاستعارة من أبلغ وأقوى الآليات اللغوية، التي يستغلها المتكلم للوصول إلى أهدافه الحجاجية[٥]، وهذا ما صرح به الجرجاني

---

(١) ينظر: الآلوسي، روح المعاني، ج ١٧، ص١٧٤ – ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج ١٧، ص ٣٠٢.

(٢) ينظر الزمخشري، الكشاف، ج ٤، ص ١١٦.

(٣) ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز، ج ٥، ص ١٩ – أبو حيان، تفسير البحر المحيط، ج ٧، ص ٤٧٨.

(٤) ينظر العزاوي، أبو بكر، اللغة والحجاج، ص ١٠٨.

(٥) ينظر: السابق، ص ١٠٥– الشهري، آليات الحجاج وأدواته، بحث في الكتاب المجمع (الحجاج مفهومه ومجالاته)، ج١، ص ١٣٨.

في دلائل الإعجاز قائلا: "من شأن الاستعارة أن تكون أبدا أبلغ من الحقيقة"[١].

وتعرف الاستعارة الحجاجية بأنها "تلك الاستعارة التي تهدف إلى إحداث تغيير في الموقف الفكري، أو العاطفي للمتلقي"[٢] وهو ما يود المخاطِب تحقيقه.

وصنفت الاستعارة ضمن أدوات السلم الحجاجي؛ بسبب تفوقها حجاجيا عن ألفاظ الحقيقة[٣]، حيث إن هناك علاقة وثيقة بين مفهوم السلم الحجاجي، ومفهوم القوة الحجاجية[٤].

وقد جاءت بعض الاستعارات الحجاجية في آيات الدراسة توجه الخطاب بقصد تحقيق أهداف حجاجية، ومنها ما يأتي:

١ – قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ ﴾ (الأنعام: ١١٢).

قوله: "شياطين الإنس" استعارة للناس الذين يفعلون فعل الشيطان من مكر وخديعة، وإضافة شياطين إلى الإنس إضافة مجازية، على تقدير (من) التبعيضية مجازا، بناء على الاستعارة التي تقتضي كون هؤلاء الإنس شياطين[٥]، شياطين[٥]، فاستعارة لفظة الشياطين لهذا الصنف من الناس أقوى وأبلغ حجاجيا من وصفهم بهذا الصفات بشكل مباشر.

ويشير أبو حيان إلى أن قوله: "شياطين الإنس والجن" هو "من إضافة الصفة إلى الموصوف، أي: الإنس والجن الشياطين"[٦].

٢ – قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ

---

(١) ينظر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص ٤٣٢.

(٢) الشهري، إستراتيجيات الخطاب، ص ٤٩٠.

(٣) السابق، ص ٤٩٤.

(٤) العزاوي، أبو بكر، اللغة والحجاج، ص ١٠٣.

(٥) ينظر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج ٨، ص ٩.

(٦) أبو حيان، تفسير البحر المحيط، ج ٤، ص ٢٠٩.

﴾ (الحج: ٤٦).

إسناد العمى إلى القلوب إسناد استعاري؛ لأن العمى في الحقيقة مكانه البصر، وهو أن تصاب الحدقة بما يطمس نورها، أما استعماله في القلب فاستعارة[١].

وهناك تكثيف حجاجي لإثبات عمى البصيرة عند المشركين المكذبين للرسول صلى الله عليه وسلم، حيث اجتمع عاملان حجاجيان يؤكدان المعنى المراد: القصر والاستعارة، فـ "القصر المستفاد من النفي وحرف الاستدراك قصر ادعائي للمبالغة، يجعل فقد حاسة البصر المسمى بالعمى كأنه غير عمى، وجعل عدم الاهتداء إلى دلالة البصريات مع سلامة حاسة البصر هو العمى؛ مبالغة في استحقاقه لهذا الاسم، الذي استعير إليه، فالقصر ترشيح للاستعارة"[٢].

٣ – قوله تعالى: ﴿أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ (الحج: ٥٢).

الإلقاء حقيقته رمي الشيء باليد، واستعير هنا للوسوسة، وتسويل الفساد؛ تشبيها للتسويل بإلقاء شيء من اليد بين الناس[٣].

والاستعارة هنا صورت المعنوي (الوسوسة) بشيء مادي (الإلقاء)، وجعلت المخاطب يرى أن الوسوسة كأنها شيء مادي يلقى، ولا قيمة له.

فالاستعارة هنا تقوي النتيجة الرئيسة وهي تفنيد قصة الغرانيق، وتبطل دعوى الكفار (إمكان التحريف الشيطاني للقرآن).

٤ – قوله تعالى: ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ (الفرقان: ٣٢).

والتثبيت: جعل الشيء ثابتا، والثبات: استقرار الشيء في مكانه غير متزلزل، قال تعالى: "كشجرة طيبة أصلها ثابت" (إبراهيم: ٢٤)، ويستعار الثبات

---

(١) ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج ٣، ص ٢٣٠ – أبو حيان، تفسير البحر المحيط، ج ٦، ص ٣٥٠ – السمين الحلبي، الدر المصون، ج ٨، ص ٢٨٩.

(٢) ينظر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج ١٧، ص ٢٩٠.

(٣) ينظر السابق، ج ١٧، ص ٢٩٨.

لليقين وللاطمئنان بحصول الخير لصاحبه[1].

استعير التثبيت للفؤاد؛ ليدل على تسكين القلب، وتطمينه، وتثبيت اليقين فيه، فالاستعارة هنا عامل حجاجي إقناعي، تجعل المخاطَب يقتنع ويدرك أن نزول القرآن منجما فيه تثبيت لقلب النبي صلى الله عليه وسلم[2]، وهذا يغلق مسار الجدل، ويثبت أن حجة الخصوم (إنزال القرآن جملة واحدة) غير منطقية.

٢ – وضع المظهر موضع المضمر

يذكر علماء البلاغة بعض المعاني والأغراض لوضع المظهر موضع المضمر، وهي في حقيقتها معان حجاجية؛ لأنها تؤدي معاني زائدة عن المعنى الإبلاغي للتركيب، لغرض التأثير والإقناع، وهذه المعاني الزائدة هي التي يقصدها المخاطِب.

ومن المعاني المستفادة من وضع المظهر موضع المضمر، لو كان المظهر غير اسم إشارة ما يأتي: زيادة تمكنه في ذهن السامع، كما في قوله تعالى: "الله الصمد" (الإخلاص: ٢)، وإدخال المهابة في نفس السامع، والتهكم... إلخ[3].

ومن مواضع ورود هذه الظاهرة في آيات الدراسة ما يأتي:

١ – قوله تعالى: ﴿ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ﴾ (الحج: ٤٤)، قوله: "فأمليت للكافرين" بعد ذكره للكفار الذين كذبوا بأنبيائهم، ولم يقل: أمليت لهم، فوضع الظاهر موضع المضمر؛ للإيماء إلى أن علة الإملاء لهم ثم أخذهم هو

---

(١) ينظر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج ١٩، ص ١٩.

(٢) للتفصيل حول علة نزول القرآن مفرقا ينظر: الزمخشري: الكشاف، ج ٣، ص ٣٢٨ – ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج ١٩، ص ١٩، ٢٠.

(٣) ينظر: القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص ١٠٢ – المراغي، أحمد مصطفى، علوم البلاغة، ص١٤٤.

الكفر بالرسل؛ تعريضا بالنذارة لمشركي قريش[١]. ويشير أبو السعود إلى أن علة وضع المظهر موضع المضمر هي ذمهم بالكفر[٢].

فالمعنى الإبلاغي متساو بين وضع المظهر ووضع المضمر، أما المعنى الحجاجي – وهو المطلوب في السياق– فمختلف كما رأينا.

٢ – قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾ (الحج: ٥٢)، ففي قوله: "يحكم الله" ذكر لفظ الجلالة مظهرا، وقد سبق ذكره من قبل بعد قوله: "فينسخ"، فإظهار لفظ الجلالة في موقع الإضمار لمعنى حجاجي وهو زيادة التقرير، والإيذان بأن الألوهية من موجبات إحكام آياته تعالى، وكذلك أيضا إظهار الشيطان فيه زيادة التقرير[٣].

٣ – قوله تعالى: ﴿ لِّيَجۡعَلَ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ﴾ (الحج: ٥٣)، المراد بالظالمين الفريقان المذكوران، فوضع الظاهر موضع المضمر؛ تسجيلا عليهم بالظلم، مع ما وصفوا به من المرض والقسوة[٤]، وللإيماء إلى أن علة كونهم في شقاق بعيد هو ظلمهم، أي كفرهم[٥].

٣ – الأفعال الكلامية

اقترح محمود نحلة تقسيما جديدا لأفعال الكلام في العربية بناء على تقسيم أوستن وسيرل على النحو التالي: الإيقاعيات، والطلبيات، والإخباريات،

---

(١) ينظر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج ١٧، ص ٢٨٣.
(٢) ينظر أبو السعود، تفسير أبي السعود، ج ٦، ص ١١٠.
(٣) ينظر الآلوسي، روح المعاني، ج ١٧، ص ١٧٣.
(٤) ينظر السابق، ج ١٧، ص ١٧٤.
(٥) ينظر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج ١٧، ص ٣٠٢.

والالتزامات، والتعبيريات[1]، ومصطلح (الخبر) في التراث العربي يندرج تحت (التقريريات) بمصطلح سيرل[2].

ويرى (فان ايمرن وجروتندورست) أن الأفعال اللغوية تسهم بأدوار مختلفة في الحجاج، حيث يضطلع كل منها بدور محدد في الحجاج بين طرفي الخطاب، وتترتب الأفعال حسب مقدار الاستعمال، فالمرسل يستعمل أغلب أصناف الفعل التقريري؛ ليعبر عن وجهة نظره، وليحدد موقفه من نقطة الخلاف، كما يستعمله للمواصلة في حجاجه من خلال تأكيده أو تدعيم وجهة نظره[3].

ويلاحظ أن الفعل اللغوي التقريري (الأسلوب الخبري بضروبه المختلفة) هو الغالب في آيات الدراسة، من خلال إثبات حجج معينة بشكل تقريري يقنع المخاطب؛ للوصول إلى النتيجة النهائية وهي كذب قصة الغرانيق.

وكلها أخبار إذا فهمت في سياقها، وفي ضوء تكاملها، تكفي لدحض قصة الغرانيق، ومن هذه الأخبار ما يلي:

قوله تعالى: ﴿ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلۡقَآيِ نَفۡسِيٓۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۖ ﴾ (يونس: ١٥)، ﴿ وَلَوۡلَآ أَن ثَبَّتۡنَٰكَ لَقَدۡ كِدتَّ تَرۡكَنُ إِلَيۡهِمۡ شَيۡـًٔا قَلِيلًا ﴾ (الإسراء: ٧٤)، ﴿ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ (الحج: ٥٢)، ﴿ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٌ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ (فصلت: ٤٢)، ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ﴾

---

(١) ينظر نحلة، محمود، نحو نظرية عربية للأفعال الكلامية، مجلة الدراسات اللغوية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات، مجلد ١، عدد ١، ١٩٩٩م، ص ١٩٥ – ٢٠٠.

(٢) ينظر صحراوي، مسعود، التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة، بيروت، ط ١، ٢٠٠٥م، ص ٨٢، ٨٣.

(٣) ينظر الشهري، عبد الهادي، إستراتيجيات الخطاب، ص ٤٨١، ٤٨٢.

(النجم: ٢ – ٤) ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴾ (الأعلى: ٦)، وغير هذا مما ذكر في مبحث التناص.

فالتقريريات هنا خطاب حجاجي يسعى نحو إقناع المخاطب أن قصة الغرانيق هي محض افتراء، حيث إن "الهدف من الخطاب هو الفيصل لوصف الخطاب بأنه خطاب حجاجي من عدمه، فالهدف من الخطاب الحجاجي، هو إزالة شك المرسل إليه في وجهة النظر محل الخلاف"[١].

وقد يستعمل المخاطِب الاستفهام في الحجاج؛ إذ يعد من أنجع أنواع الأفعال اللغوية حجاجا، وقد يكون الحجاج من خلال استعمال الأسئلة التي تنتمي إلى الاستفهام التقريري، فالأسئلة أشد إقناعا للمخاطَب، وأقوى حجة[٢].

ورد الاستفهام في آيات الدراسة في موضعين:

١ – قوله تعالى: ﴿ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾ (الحج: ٤٤)، ورد هذا الاستفهام في نهاية الآيات التي تحدثت عن الأقوام الذين كذبوا بأنبيائهم، حيث أخذهم بالعذاب بعد أن أمهلهم.

ونكير مصدر بمعنى الإنكار[٣]، والمعنى "فكيف كان إنكاري عليهم ومعاقبتي لهم"[٤]، يقول القرطبي: "استفهام بمعنى التغيير، أي: فانظر كيف كان تغييري ما كانوا فيه من النعم بالعذاب والهلاك [بسبب تكذيبهم لأنبيائهم]، فكذلك أفعلُ بالمكذبين من قريش"[٥]، فالله سبحانه وتعالى يخوف بهذا من يخالف النبي

---

(١) الشهري، عبد الهادي، إستراتيجيات الخطاب، ص ٤٨٢.

(٢) ينظر الشهري، عبد الهادي، آليات الحجاج وأدواته، بحث في الكتاب المجمع (الحجاج مفهومه ومجالاته)، ج ١، ص ٨٥.

(٣) ينظر السمين الحلبي، الدر المصون، ج ٨، ص ٢٨٦.

(٤) ابن كثير، تفسير ابن كثير، ج ١٠، ص ٧٨.

(٥) القرطبي، تفسير القرطبي، ج ١٤، ص ٤١٤– وينظر الزمخشري، الكشاف، ج ٣، ص ٢٢٨.

صلى الله عليه وسلم ويكذبه[1].

ويشير ابن عاشور إلى أنه "استفهام تعجيبي، أي: فاعجب من نكيري كيف حصل، ووجه التعجيب أنهم أُبدلوا بالنعمة محنة وبالحياة هلاكا، والعمارة خرابا، فهو عبرة لغيرهم"[2]، أي هو استفهام لتقرير ما حدث للأمم السابقة من تغيير ما كانوا عليه من النعم إلى الهلاك[3]؛ ليتعظ به غيرهم.

فالبعد الحجاجي للاستفهام هنا يتمثل في المعاني غير الحقيقية التي يستلزمها الاستفهام في هذا السياق، حيث إن التعبير عنها بأسلوب الاستفهام أبلغ من التعبير عنها بالأسلوب الخبري:

١ – تقرير مصير الأمم التي كذبت برسلهم، وبين مصيرهم؛ ليكونوا عبرة لغيرهم.

٢ – تخويف المكذبين بالنبي صلى الله عليه وسلم.

٣ – التعجيب من نكير الله كيف حصل، ووجهه أنهم أبدلوا بالنعمة محنة، ... إلخ.

٤ – بيان قدرة الله وحكمته في التعامل مع المكذبين.

٢ – قوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ﴾ (الحج: ٤٦)، قوله: "أفلم يسيروا"، يعني كفار مكة، فيشاهدوا هذه القرى، فيتعظوا ويحذروا عقاب الله أن ينزل بهم، كما نزل بمن قبلهم[4].

فالبعد الحجاجي لهذا الاستفهام يتمثل في الآتي:

١ – حث كفار مكة على أن يسافروا؛ ليروا مصارع المهلكين؛ فيعتبروا،

---

(١) ينظر البغوي، تفسير البغوي، ج ٥، ص ٣٩٠.

(٢) ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج ١٧، ص ٢٨٤.

(٣) ينظر الشوكاني، فتح القدير، ص ٩٦٨.

(٤) ينظر: القرطبي، تفسير القرطبي، ج ١٤، ص ٤١٩– البغوي، تفسير البغوي، ج ٥، ص ٣٩١.

وهم إن كانوا قد سافروا لم يسافروا لذلك[١].

٢- الاستفهام للإنكار، فيكون حثا لهم على أن يسافروا لهذا الغرض[٢].

٣ – تقرير بأنهم أصيبوا بعمى البصيرة ولا يعتبرون بمن قبلهم.

٤ – الاستفهام تعجيبي من حالهم في عدم الاعتبار بمصارع الأمم المكذبة لأنبيائهم[٣].

والمقصود بالتعجيب حال الذين سافروا في الأرض، ولكن جعل الاستفهام داخلا على نفي السير؛ لأن سير السائرين لمّا لم يفدهم عبرة وذكرى جُعل كالعدم، فكان التعجيب من انتفائه[٤].

وقد يكون الحجاج أيضا بفعل الأمر، كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ﴾ (يونس: ١٥).

هذه الآية نزلت في المستهزئين بالقرآن من أهل مكة[٥]، غاظهم ما في القرآن الكريم من ذم عبادة الأوثان، والوعيد الشديد لمن عبدها، فقالوا: "**ائت** بقرآن غير هذا أو بدله"، ليس فيه ترك عبادة اللات والعزى، وليس فيه عيبها نتبعْك[٦]، وإن لم ينزلها الله فقل أنت من عند نفسك[٧].

---

(١) ينظر القونوي، عصام الدين إسماعيل بن محمد (١١٩٥هـ)، حاشية القونوي على تفسير البيضاوي، ناصر الدين عبد الله بن عمر (٦٨٥هـ)، ت. عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠٠١م، ج ١٣، ص ٨٣.

(٢) ينظر السابق، ج ١٣، ص ٨٣.

(٣) ينظر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج ١٧، ص ٢٨٧.

(٤) ينظر السابق، ج ١٧، ص ٢٨٧.

(٥) ينظر أبو حيان، تفسير البحر المحيط، ج ٥، ص ١٣٥.

(٦) ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج ٢، ص ٣٥٢ – البغوي، تفسير البغوي، ج ٤، ص ١٢٥– الشوكاني، فتح القدير، ص ٦١٥.

(٧) ينظر البغوي، تفسير البغوي، ج ٤، ص ١٢٥.

فهذا أسلوب من أساليب تكذيبهم للنبي صلى الله عليه وسلم، فهم يتوهمون أن القرآن وضعه النبي صلى الله عليه وسلم، فقالوا: "ائت بقرآن غير هذا أو بدله"؛ إطماعا له بأن يؤمنوا به مغايرا أو مبدلا إذا وافق هواهم(١)؛ لأنهم يعلمون رغبته في هدايتهم وإيمانهم به.

وهذه حجة من حجج الخصم (المشركين) وأسلوب من أساليب التكذيب، حتى يصلوا إلى النتيجة المرادة لديهم، وهي أن القرآن ليس وحيا، بل هو من وضع محمد صلى الله عليه وسلم، ومن أجل هذه الغاية افتعلوا واختلقوا قصة الغرانيق.

ولاقتراح المشركين معنى حجاجي، يحمل قدرا كبيرا من المكر والخديعة، حيث إن لاقتراحهم معنى صريح، وهو الإتيان بقرآن آخر أو تبديل آيات القرآن الموجود، "ومعنى كنائي التزامي [استلزام حواري]، وهو أنه غير منزل من الله، وأن الذي جاء به غير مرسل من الله"(٢).

ولذلك جاء الرد ردا قاطعا بأمر من الله لرسوله –صلى الله عليه وسلم_ في تكملة الآية نفسها في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِ نَفْسِيٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾﴾ (يونس: ١٥)، وغيرها من الآيات التي بنيت عليه الدراسة.

٤ – السلم الحجاجي

يعرف طه عبد الرحمن السلم الحجاجي بأنه "عبارة عن مجموعة غير فارغة من الأقوال، مزوَّدة بعلاقة ترتيبية ومُوفِّية بالشرطين التاليين:

١ –كل قول يقع في مرتبة من السلم، يلزم عنه ما يقع تحته، بحيث تلزم عن القول الموجود في الطرف الأعلى جميع الأقوال التي دونه.

٢ – كل قول كان في السلم دليلا على مدلول معين، كان ما يعلوه مرتبة

---

(١) ينظر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج ١١، ص ١١٥، ١١٦.

(٢) السابق، ج ١١، ص ١١٧.

دليلا أقوى عليه[١].

أي أن السلم الحجاجي هو "علاقة ترتيبية للحجج تحدد بموجبها مراتب الأقوال ودرجاتها، باعتبار وجهتها وقوتها الحجاجيتين"[٢].

ويرتبط مفهوم السلم بمفهوم آخر، وهو مفهوم الوجهة أو الاتجاه الحجاجي[٣]، ويراد به المسار أو الوجهة التي يوجه بها المتكلم خطابه نحو نتيجة معينة، بحيث يجعل أقواله تمهيدا للوصول إلى استنتاج محدد.

ويرتبط الاتجاه الحجاجي بالروابط والعوامل الحجاجية، التي يتم بها توجيه القول أو الخطاب[٤]، وهو ما أطلق عليه (أدوات السلم الحجاجي اللغوي)[٥]، وهو ما تم الإشارة إليه في مواضع متفرقة في المباحث السابقة، نحو الروابط والعوامل الحجاجية، والصيغ الصرفية، والتوكيد، والاستعارة، حيث أشرنا إلى فكرة السلمية في كل موضع على حدة.

ولذلك اعتبر كل من ديكرو وأنسكومبر الحجاج توجيها بمؤيدات ومثبتات ذات طبيعة لغوية، وكان ذلك عبر نظرية السلالم الحجاجية[٦].

وهناك نوع آخر من السلم الحجاجي خلاف النوع السابق، وهو عبارة عن أقوال أو حجج تنتمي إلى فئة حجاجية واحدة، أو موجهة اتجاها واحدا، نحو نتيجة معينة.

---

(١) عبد الرحمن، طه، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص ٢٧٧. وينظر: العزاوي، أبو بكر، اللغة والحجاج، ص ٢١ – الشهري، عبد الهادي، إستراتيجيات الخطاب، ص ٥٠٠.

(٢) العزاوي، أبو بكر، اللغة والحجاج، ص ١٣٠، ١٣١ .

(٣) السابق، ص ٢٥.

(٤) العزاوي، أبو بكر، اللغة والحجاج، ص ٢٥.

(٥) ينظر الشهري، عبد الهادي، آليات الحجاج وأدواته، بحث في الكتاب المجمع (الحجاج مفهومه ومجالاته)، ج ١، ص ١٠١.

(٦) الناجح، عز الدين، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص ١٢١.

وهو ما احتج به بعض المفسرين لبطلان قصة الغرانيق، حيث قالوا في رواية قصة الغرانيق: "أما أهل التحقيق فقد قالوا: هذه الرواية باطلة موضوعة، واحتجوا عليه بالقرآن والسنة والمعقول"[١]، وهذا ترتيب سلمي للحجج، بدءوا بالحجة الأقوى ثم الأضعف ثم التي تليها، وكلها من فئة حجاجية واحدة؛ سعيا نحو نتيجة واحدة وهي (تفنيد قصة الغرانيق)، فـ "كل فئة حجاجية تتحدد بنتيجتها المشتركة"[٢].

وإيجاز هذه الحجج على النحو التالي:[٣]

أما القرآن: فالآيات التي ذكرت في هذا السياق قد ذكرتها كلها في مبحث التناص، ولا داعي للتكرار، وسأكتفي بذكر السورة ورقم الآية: (الحاقة: ٤٤ – ٤٦)، (يونس: ١٥)، (النجم: ٣ – ٤) (الإسراء: ٧٣)، (الإسراء: ٧٤)، (الفرقان: ٣٢)، (الأعلى: ٦)، يقول أبو حيان: "وهذه نصوص تشهد بعصمته"[٤].

وأما السنة: فقد روي عن محمد بن إسحاق أنه سئل عن هذه القصة فقال: هذا من وضع الزنادقة وصنف فيه كتاباً، وقال الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل ثم قال: رواة هذه القصة مطعونون.

وروى البخاري في صحيحه أنه – عليه الصلاة السلام – قرأ سورة النجم وسجد فيها المسلمون والمشركون والجن والإنس وليس فيه ذكر الغرانيق، وروي

---

(١) الرازي، تفسير الرازي، ج ٢٣، ص ٥١. وينظر: ابن عادل الدمشقي، اللباب في علوم الكتاب، ج ١٤، ص ١١٧ – ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج ١٧، ص ٣٠٤.

(٢) عبد الرحمن، طه، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص ٢٧٦.

(٣) للتفصيل ينظر: الرازي، تفسير الرازي، ج ٢٣، ص ٥١، ٥٢ – أبو حيان، تفسير البحر المحيط، ج ٦، ص ٣٥٢– ابن عادل الدمشقي، اللباب في علوم الكتاب، ج ١٤، ص ١١٧، ١١٨ – ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج ١٧، ص ٣٠٤، ٣٠٥.

(٤) أبو حيان، تفسير البحر المحيط، ج ٦، ص ٣٥٢.

هذا الحديث من طرق كثيرة، وليس فيها البتة ذكر الغرانيق.

وأما المعقول فمن وجوه منها ما يأتي:

١ – أن من جوَّز على الرسول تعظيم الأوثان فقد كفر، لأن من المعلوم بالضرورة أن أعظم سعيه كان في نفي الأوثان.

٢ – أنه – عليه السلام – ما كان عليه في أول الأمر أن يصلي ويقرأ القرآن عند الكعبة أمناً لأذى المشركين له حتى كانوا ربما مدوا أيديهم إليه، وإنما كان يصلي، إذا لم يحضروا ليلاً، أو في أوقات خلوة، وذلك يبطل قولهم. (النجم: ١٩)

٣ – أن معاداتهم للرسول كانت أعظم من أن يقروا بهذا القدر، من غير أن يقفوا على حقيقة الأمر، فكيف أجمعوا على أنه عظم آلهتهم حتى خروا سُجَّداً مع أنه لم يظهر عندهم موافقته لهم.

يقول ابن عاشور: "وكيف يروُجُ على ذي مسكة من عقل أن يجتمع في كلام واحد تسفيه المشركين في عبادتهم للأصنام بقوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ ﴾ (النجم: ١٩)، إلى قوله: ﴿ مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ﴾(النجم: ٢٣)، فيقع في خلال ذلك مدحها بأنها: الغرانيق العلى، وأن شفاعتهن لترتجى، وهل هذا إلا كلام يلعن بعضه بعضا"[1].

٤ – أنا لو جوزنا ذلك ارتفع الأمان عن شرعه، وجوزنا في كل الشرائع أن يكون كذلك، ويبطل قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾(المائدة: ٦٧) فإنه لا فرق في العقل بين النقصان عن الوحي وبين الزيادة فيه.

فهذه حجج رتبت سلميا من الأقوى إلى الأضعف للوصول إلى نتيجة مشتركة وهي أن قصة الغرانيق موضوعة.

---

(١) ينظر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج ١٧، ص ٣٠٤.

الخاتمة

تناولت هذه الدراسة الحجاج اللغوي في تفنيد القرآن الكريم لأكذوبة الغرانيق من خلال دراسة أثر المؤشرات والمظاهر الحجاجية وبعض آليات الإقناع، في دحض هذه الإشاعة، وتوصلت الدراسة إلى النتائج الآتية:

١ – الخطاب القرآني في تكذيبه لقصة الغرانيق، انبنى على نسق حجاجي لغوي متكامل، استطاع أن يفند قصة الغرانيق، بحجج قوية وبأسلوب مقنع.

٢ – القرآن الكريم لم يكتفِ بنفي تطرق الباطل إلى القرآن الكريم، بل قدّم خطابًا لغويًا حجاجيًا متماسكًا يجمع بين قوة الحجة، وثراء التعبير.

٣ – كل مؤشر حجاجي، أو آلية إقناعية، أو مظهر من المظاهر الأخرى، يعد حجة فرعية، تتضافر مع الحجج الأخرى؛ من أجل الوصول إلى النتيجة النهائية وهي (تكذيب قصة الغرانيق).

٤ – تؤكد الدراسة على نجاعة الحجاج اللغوي في تفنيد الإشاعات.

٥ – أكدت الدراسة على انسجام النص القرآني في دحض قصة الغرانيق.

٦ – تنوعت مؤشرات الحجاج اللغوي، وآليات الإقناع في تفنيد القرآن لقصة الغرانيق.

٧ – يستخدم القرآن الكريم أكثر من مؤشر حجاجي في الموضع الواحد؛ وهذا يكثف الحجة ويقويها، ويجعلها أكثر إقناعا.

٨ – أكدت الدراسة على أهمية مبدأ التناص في تفنيد قصة الغرانيق.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: الكتب

- الآلوسي، أبو الفضل السيد محمود (١٢٧٠هـ) روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، بدون تحقيق، دار إحياء التراث العربي، بيروت،

بدون تاريخ.
- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود (٥١٦هـ)، تفسير البغوي (معالم التنزيل)، ت: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة، سلمان مسلم الحرش، دار طيبة، الرياض، ١٤٠٩هـ.
- بلانتان، كريستيان، الحجاج، ترجمة: عبد القادر المهيري، دار سيناترا، تونس، ٢٠١٠م.
- بيرلمان، شاييم، وتيتكا، لوسي أولبرخت، المصنف في الحجاج (الخطابة الجديدة)، ترجمة: محمد الولي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط ١، ٢٠٢٣م.
- الجرجاني، عبد القاهر (٤٧٤هـ)، دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، الهيئة المصرية العامة للكتاب (سلسلة مكتبة الأسرة)، ٢٠٠٠م.
- الحباشة، صابر، التداولية والحجاج مدخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، ط ١، ٢٠٠٨م.
- حسان، تمام، البيان في روائع القرآن، الهيئة المصرية العامة للكتاب (مطبوعات مكتبة الأسرة)، ٢٠٠٢م.
- حسن، عباس، النحو الوافي، دار المعارف، القاهرة، ط ١٣، ١٩٩٦م.
- حمداوي، جميل، التداوليات وتحليل الخطاب، مكتبة المثقف، المغرب، ط ١، ٢٠١٥م.
- حمداوي، جميل، نظريات الحجاج، إهداء من شبكة الألوكة.
- أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف (٧٤٥هـ)، تفسير البحر المحيط، ت. عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٣م.
- الخطيب، عبد اللطيف محمد، ومصلوح، سعد، والعلوش، رجب حسن، التفصيل في إعراب آيات التنزيل، مكتبة الخطيب للنشر والتوزيع،

الكويت، ط ١، ٢٠١٥م.
- الدردير، سامية، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط ٢، ٢٠١١م.
- الدرويش، محيي الدين، إعراب القرآن الكريم وبيانه، دار الإرشاد للشئون الجامعية، حمص، سورية، ١٩٨٠م.
- ديكرو، أزفالد، السلميات الحجاجية، ترجمة: أبوبكر العزاوي، مطبعة وراقة بلاس، فاس، المغرب، ط ١، ٢٠٢٠م.
- الرازي، فخر الدين محمد بن عمر (٦٠٤هـ)، تفسير الفخر الرازي (مفاتيح الغيب)، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٨١م.
- الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (٥٠٢هـ)، المفردات في غريب القرآن، ت. محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت.
- الرضي، محمد بن الحسن الإستربازي (٦٤٦هـ)، شرح الرضي على كافية ابن الحاجب، ت. عبد العال سالم مكرم، عالم الكتب، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٠م.
- الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري (٣١١هـ)، معاني القرآن وإعرابه، ت: عبد الجليل عبده شلبي، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٣م.
- الزركشي، بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله (٧٩٤هـ)، البرهان في علوم القرآن، ت. أبي الفضل الدمياطي، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٦م.
- الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي (١٣٩٦هـ)، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١٥، ٢٠٠٢م.
- الزمخشري، أبو القاسم، جار الله محمود بن عمر (٥٣٨)، الكشاف، ت. يوسف الحمادي، مكتبة مصر، القاهرة، بدون تاريخ.
- السبكي، بهاء الدين أبو حامد أحمد بن تقي الدين (٧٧٣هـ)، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، ت: عبد الحميد هنداوي، المكتبة

العصرية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٣م.
- أبو السعود، محمد بن محمد العمادي (٩٥١هـ)، تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم) بدون تحقيق، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي (٦٢٦هـ)، مفتاح العلوم، ت: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٠م.
- السمين الحلبي، أحمد بن يوسف (٧٥٦هـ)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ت. أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٨٦م.
- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (١٨٠هـ)، الكتاب، دار القلم، القاهرة، ١٩٦٦م.
- الشهري، عبد الهادي بن ظافر، آليات الحجاج وأدواته، ضمن الكتاب المجمع: الحجاج مفهومه ومجالاته، إعداد وتصدير حافظ إسماعيل علوي، الجزء الأول، الحجاج حدود وتعريفات، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط ١، ٢٠١٠م.
- الشهري، عبد الهادي بن ظافر، إستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط ١، ٢٠٠٤م.
- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد (١٢٥٠هـ)، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، ت: يوسف الغوش، دار المعرفة، بيروت، ط ٤، ٢٠٠٧م.
- صحراوي، مسعود، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة أفعال الكلام في التراث اللساني العربي، دار الطليعة للطباعة، بيروت، ط ١، ٢٠٠٥م.
- صلاح الدين، إسلام، الخطاب الحجاجي آلياته وظائفه في مقالات

نبيل عبد الفتاح، سلسلة كتابات نقدية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، العدد: ٢٩١، ٢٠٢٢م.
- صولة، عبد الله، الحجاج في القرآن الكريم، دار الفارابي، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٧م.
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (٣١٠هـ)، تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل القرآن)، ت: محمود محمد شاكر، أحمد محمد شاكر، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط ٢، بدون تاريخ.
- الطنطاوي، محمد، الإشاعات الكاذبة وكيف حاربها الإسلام، هدية مجلة الأزهر، مجمع البحوث الإسلامية، فبراير، ٢٠٢٤م، شعبان، ١٤٤٥هـ، الجزء ٨، السنة ٩٧.
- ابن عادل الدمشقي، أبو حفص عمر بن علي (٨٨٠هـ)، اللباب في علوم الكتاب، ت: عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٨م.
- ابن عاشور، محمد الطاهر (١٩٧٣م)، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، ١٩٨٤م.
- عبد الرحمن، طه، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط ٢، ٢٠٠٠م.
- عبد الرحمن، طه، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط ١، ١٩٩٨م.
- العزاوي، أبو بكر، الخطاب والحجاج، كتاب مجمع (الحجاج مفهومه ومجالاته، الجزء الأول: الحجاج حدود وتعريفات)، إعداد: حافظ إسماعيل علوي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط ١، ٢٠١٠م.
- العزاوي، أبو بكر، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، المغرب، ط ١، ٢٠٠٦م.
- ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب (٥٤٦هـ)، المحرر الوجيز

في تفسير الكتاب العزيز، ت. عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠٠١م.
- العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين (٦١٦هـ)، التبيان في إعراب القرآن، ت. محمد علي البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط ٢، ١٩٨٧م.
- الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد (٢٠٧هـ)، معاني القرآن، ت: أحمد يوسف نجاتي، محمد علي النجار، الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية، مركز تحقيق التراث، القاهرة، ط ٣، ٢٠٠١م.
- الفيروزابادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (٨١٧هـ)، القاموس المحيط، إعداد وتقديم محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٩٩٧م.
- القاسمي، محمد جمال الدين (١٩١٤م)، تفسير القاسمي (محاسن التأويل)، طبع برعاية محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط ١، ١٩٥٧م.
- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد (٦٧١هـ)، تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، ت: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ٢٠٠٦م.
- القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن (٧٣٩هـ)، الإيضاح في علوم البلاغة، ت: عبد القادر حسين، مكتبة الآداب، القاهرة، ط ١، ١٩٩٦م.
- القونوي، عصام الدين إسماعيل بن محمد (١١٩٥هـ)، حاشية القونوي على تفسير البيضاوي، ناصر الدين عبد الله بن عمر (٦٨٥هـ)، ت. عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠٠١م.
- ابن كثير، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل (٧٧٤هـ)، تفسير ابن كثير، ت: مصطفى السيد محمد وآخرين، مؤسسة قرطبة، الجيزة، ط١،

٢٠٠٠م.
- المالقي، أحمد بن عبد النور (٧٠٢هـ)، رصف المباني في شرح حروف المعاني، ت. أحمد محمد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، بدون تاريخ.
- ابن مالك، جمال الدين محمد بن عبد الله (٦٧٢هـ) شرح التسهيل، ت. عبد الرحمن السيد، محمد بدوي المختون، دار هجر، القاهرة، ط١، ١٩٩٠م.
- المبخوت، شكري، نظرية الحجاج في اللغة، ضمن كتاب مجمع (أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم)، إشراف: حمادي صمود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية تونس ١، كلية الآداب بمنوبة.
- المرادي، الحسن بن قاسم (٧٤٩هـ)، الجنى الداني في حروف المعاني، ت. فخر الدين قباوة، محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٢م.
- المراغي، أحمد مصطفى، علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٩٨٦م.
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (٧١١هـ) لسان العرب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٤م.
- الناجح، عز الدين، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، مكتبة علاء الدين، صفاقس، تونس، ط ١، ٢٠١١م.
- النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل (٣٢٨هـ)، إعراب القرآن، ت: محمد تامر، محمد رضوان، محمد عبد المنعم، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٧م.
- نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، مكتبة الآداب، القاهرة، ط ١، ٢٠١١م.

- الهاشمي، أحمد (١٢٦٢هـ)، جواهر البلاغة، ت: حسن نجار محمد، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠١٦م.
- ابن هشام، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف (٧٦١)، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ت. محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، القاهرة، ٢٠٠٤م.
- ابن هشام، جمال الدين عبد الله بن يوسف (٧٦١هـ) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ت. صلاح عبد العزيز علي، دار السلام، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٤م.
- الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد (٤٦٨هـ)، أسباب النزول، ت. السيد الجميلي، دار الريان للتراث، بدون تاريخ.
- اليحصبي، القاضي عياض بن موسى (٥٤٤هـ)، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ت: عبده علي كوشك، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، وحدة البحوث والدراسات، ط ١، ٢٠١٣م.
- ابن يعيش، موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش (٦٤٣هـ)، شرح المفصل، مكتبة المتنبي، القاهرة، بدون تاريخ.

ثانيا: الأبحاث المنشورة في الدوريات

- العبد، محمد، النص الحجاجي العربي، دراسة في وسائل الإقناع، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، العدد ٦٠، صيف – خريف ٢٠٠٢م.
- نحلة، محمود، نحو نظرية عربية للأفعال الكلامية، مجلة الدراسات اللغوية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات، مجلد ١، عدد ١، ١٩٩٩م.